الأزهر الذي نريد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فالجامع الأزهر الذي تحول إلى جامعة، له مكانته العريقة في نفوس المسلمين على مستوى الدنيا، ويُنظر لشيخ الأزهر على أنه شيخ الإسلام، وهذا المنصب الديني الرفيع يعدل منصب بابا الفاتيكان زعيم النصارى الكاثوليك على مستوى المعمورة. ويحلو للبعض أحيانًا أن يعادله بابا النصارى الأرثوذكس في بلادنا.

وقد كان منصب شيخ الأزهر يتلو منصب رئيس الجمهورية في البرتوكول، وهذا إلى زمن قريب، ثم تحول هذا المنصب وتدنَّى إلى منصب يتبع رئيس الوزراء، وكانت الجامعات هنا وهناك تسارع إلى موافقة وطلب مباركة الجامعية الأزهرية، فالجامعة التي لا يعترف بها الأزهر لا قيمة لها بما في ذلك جامعة أم القرى.

وهذا الجامع أنشأه العُبيديون، وكان ظاهرهم التشيع والرفض، وباطنهم الكفر المحض، فأحلوا الحرام وحرموا الحلال، وبدلوا الشرع وأباحوا زواج المحارم؛ حتى قال بعض العلماء: لو امتلكت عشرة أسهم لرميت هؤلاء بتسعة وبقية الكفار بالعاشر، وتحت عنوان «في مثل هذا اليوم (الأحد) ٢١ يونيو من عام ٩٧٢م، فتح الجامع الأزهر، وأقيمت فيه أول صلاة «جاء بالمصري اليوم ما نصه»:

«لم يجد العباسيون ما يحاربون الفاطميين به سوى الطعن في نسبهم، وأنهم يدعون نسبهم لفاطمة الزهراء، وظلت مسألة النسب هذه تثور في وجه الفاطميين منذ أسسوا ملكهم في شمال أفريقيا، ولاحقهم منذ وطئوا مصر.

ويحدثنا ابن خلكان أن المعز حينما أصبح على مشارف مصر وخرج الناس للقائه اجتمع به بعض الأشراف، فسأله واحد منهم: نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم، ثم قال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر إلا

وحضر، فاستل المعز سيفه وقال: هذا نسبي، ثم نثر عليهم ذهبًا كثيرًا، ثم قال: وهذا حسبي، فقالوا جميعًا: سمعنا وأطعنا.

ومن يومها ظلت هذه المقولة متداولة في التدليل على الإغراء والعقاب، وتفرض هذه الواقعة نفسها علينا حينما نتحدث عن الدولة الفاطمية في مصر، وتأسيس المعز لمدينة القاهرة، أو حينما نعرض لقصة بناء الجامع الذي صار جامعة ومنارة الإسلام في العالمين العربي والإسلامي ليكون مقرًا للشعائر الإسلامية على المذهب الشيعي، وكان يطلق عليه في بادئ الأمر جامع القاهرة، ثم أطلق عليه اسم جامع الأزهر لازدهار العلوم فيه، وقيل أيضًا إنه سُمِّي بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء.

وقد وضع جوهر حجر أساس الجامع الأزهر في ٢١ رمضان سنة ٥٩٣هـ/ ٧٩٠م، واستغرق بناؤه عامين، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة ٧ رمضان ٧٦٣هـ في مثل هذا اليوم (١٢ يونيو من عام ٩٧٢م).

وفي عام ٨٨٩م جعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الباطنية الإسماعيلية، وبعدما تولى صلاح الدين سلطنة مصر منع إقامة صلاة الجمعة به.

وكانت أول حلقه درس في الأزهر عندما جلس قاضي القضاة أبو الحسن عليّ بن النعمان في أكتوبر ٩٧٥م ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت، و بعد الأيوبيين استرد الأزهر مكانته في العصر المملوكي بعدما أصبح يُدرس فيه الفقه والمذاهب السنية، وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني صدر قانون سنة ١٨٦٩م لتطوير الأزهر.

وقد حدد القانون سن قبول التلاميذ بخمسة عشر عامًا مع ضرورة معرفة القراءة والكتابة، وحفظ القرآن. وفي عام ١٩٦٣م صدر المرسوم الملكي رقم٦٢ بشأن إعادة تنظيم الأزهر، وقصر كليات الأزهر على كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية.

وفي عهد جمال عبد الناصر صدر القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر وجعله تابعًا لرئاسة الجمهورية».

وما بين بداية الأزهر وما آل إليه أمره وما نصبوا إليه ونريده منه يتطلب الأمر عدة وقفات:

أولاً- الادعاء بأن العباسيين لم يجدوا ما يحاربون به الفاطميين سوى الطعن في نسبهم، وأنهم يدعون نسبهم لفاطمة الزهراء، مغالطة وجهالة تاريخية فالبون شاسع وكبير بين الدولة العباسية والفاطمية، وشتان بين انحراف وانحراف.

فالتشيع والرفض كان سمة الدولة الفاطمية، وقد انتحلوا النسب الشريف لتمرير الكفريات والضلالات في البلاد والعباد، ولا يشفع لهم بناء القاهرة أو إقامة الجامع الأزهر، ومن بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه، على افتراض النسب الشريف. ولا يجعل الله عبدًا سارع إليه كعبد أبطأ عنه.

وقد كانت الآيات تنزل على رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأنعام: ١٥]، وأيضًا: ﴿ قُلْ إِنِ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾[سبأ: ٥٠].

والإسلام قد رفع سلمان فارس ووضع النسيب أبا لهب، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣]، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ، وعلى الحق نور، والحقُّ ما وافق الكتاب والسُنَّة، والباطل ما خالف ذلك.

ثانيًا- بفضل الله تجاوز الأزهر مرحلة النشأة، ولا يمكن أن يتهمه أحد بأنه حامل راية التشيع، وهذا لا ينفي محاولات اختراقه ووجود بعض البذور والأفكار الشيعية، التي يجب أن نكون منها ومن أهلها على حذر، من باب:

عرفت الشر لا للشر ... ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر ... من الخير يقع فيه

وكان عمر رضي الله عنه يقول: لستُ بالخبِّ ولا الخبُّ يخدعني، وإذا كان الإنسان يحتاط لحر الصيف وبرد الشتاء، فالحيطة أوْكَد وأوجب بالنسبة للدين والمعتقد، وخصوصًا مع

معرفتنا بخبث ودهاء الشيعة وتمسحهم بحب آل البيت، هذا الحب الذي قال عنه زين العابدين: أحببتمونا حبًا حتى صار حبكم عارًا علينا.

وفي هذا الصدد لابد من مراجعة شيخ الأزهر (سيد طنطاوي) والمفتي (د.عليّ جمعة) في اعتبار الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية مذهبًا خامسًا يجوز التعبد به، ولا يتقوى هذا القول بنسبته للشيخ (عليّ شلتوت) شيخ الأزهر الأسبق.

فالشيعة الإمامية وإن كانت من أخف طوائف الشيعة ضلالة، إلا أنها فرقة نارية تقول بعصمة الأئمة، وسب الصحابة، وتدين بعقيدة الرجعية، وتصرف العبادة للمقبورين، وتقدم الأئمة على الأنبياء والملائكة.

ويعتبر الخميني أن للأئمة مقامًا محمودًا وخلافة تكوينية يخضع لهيمنتها وسيطرتها جميع ذرات الكون، إلى غير ذلك من العقائد الضالة.

فالمسألة عندهم لم تقتصر على الإمامة ونكاح المتعة حتى يعتبر البعض، هذا الضلال المبين مذهبًا خامسًا يجوز التعبد به!!! ففي هذا من الشر والفساد ما الله به عليم، والشيعة من أجهل الخلق وما عندهم من الأباطيل لا يلزمنا.

والسياسات يجب أن تكون شرعية والوحدة والاتحاد لا تأتي على حساب الخلق، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ووحدة الفكر قبل وحدة العمل.

ثالثًا- من التقاليد المتبعة عبر سنوات طوال أن يتولى مشيخة الأزهر ودار الإفتاء ورئاسة الجامعة الأزهرية من هو منسوب للصوفية، وكان لا يُمثل في المناسبات الرسمية إلا شيوخ الصوفية، وكأن الصوفية هي الدين الرسمي للبلاد وهي الطريقة المرضية للتدين!!

والصوفية أقرب الطوائف للشيعة فعقائدهم تكاد تتشابه، وهم أقرب المسلمين نسبًا بأهل الكتاب بحيث يصدق عليهم قول النبي ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا**

بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ» [متفق عليه]

والصوفية موسوية المحمدية، وعيسوية المحمدية، والبعض منهم طريقته مقيدة بالكتاب والسُنَّة كالجُنيد والجيلاني، والبعض الآخر من ملاحدة الصوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والحلاج.

ودين الصوفية قائم في جملته على تعظيم المقبورين، وصرف العبادة لهم من دون الله، وبناء المساجد على القبور، وإقامة الموالد، وترك النظافة والزواج، والعيش على طعام واحد، وذكر الله بالاسم المفرد.

والبعض من الصوفية يدين بعقيدة الحلول والاتحاد، والتي هي أخبث من عقيدة النصارى.

والمفترض في الشيوخ الرسمين أنهم أئمة يُقتدى بهم، فكان الواجب عليهم أن يكونوا على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

قال العلماء: تبيض وجوه أهل السُنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق.

ما الحق إلا واحد فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من آتاه، واسلك طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة! ولا تغتر بكثرة الهالكين.

ولا يصح القول: بأن لكل شيخ طريقة، فكل الطرق مسدودة إلا من طريقه -صلوات الله وسلامه عليه-، وكما هو معلوم، فدين الصوفية يختلف عن دين الخوارج، ويفترق عن دين المعتزلة. وكل هؤلاء يخالفون الكتاب والسُنَّة وما كان عليه سلف الأمة.

obeikandi.com

رابعًا- عقيدة الأشاعرة تسيطر على الأزهر، وتأويل آيات الصفات تدرس في الجوهرة وغيرها على أنها عقيدة أهل السُنَّة، بل صرح المفتي (د. عليّ جمعة) بأن الأشاعرة هم أهل السُنَّة والجماعة!!!

وهذه مغالطة للشرع والواقع والتاريخ، فالأشعري ما ولد إلا في أواخر القرن الثالث الهجري، فعلى أي شيء كانت الأمة قبل ولادته، وقد صح الحديث: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» [متفق عليه].

وقد رجع الأشعري عن عقيدته إلى عقيدة أهل السُنَّة في الإبانة وصرح بأنه على عقيدة الإمام أحمد، إمامِ أهل السُنَّة، وتبرأ مما كان عليه من قبل.

فالأشعري شيء، والأشاعرة شيء آخر، وما منا إلا ورَدَّ ورُدَّ عليه.

كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف. وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وقال البعض: إذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله ﷺ، فخذوا بقول رسول الله واضربوا بقولي عُرض الحائط. ولو أخذنا مسألة تأويل الصفات عند الأشاعرة، على سبيل المثال لا الحصر، بمعنى نزول الأمر كما تعتقد الأشاعرة.

خامسًا- الجمود المذهبي تخف حدته، ولكن ما زال بحاجة لعلاج ولرد حكم ما تنازعنا فيه للكتاب والسُنَّة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النِّسَاء: ٥٩].

لا بأس بالتَّمَذْهُب، ولكن متى علمنا الحق بخلاف المذهب فالواجب علينا أن نترك الجمود المذهبي، ولا يصح التذرُّع بأننا أحناف فنبيح الزواج بدون ولي؛ لأن هذا يخالف قول رسول الله ﷺ: «**لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ**» [رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الألباني]، وفي الحديث: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني]

فالمرأة لا تزوج نفسها حتى وإن كانت ثيبًا (سبق لها الزواج)، بل يزوجها الولي، ولا يصح أن يقوم بالتزويج الأبعد في وجود الأقرب، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

قد كانت المذاهب الأربعة تُدرس في صحن الجامع الأزهر، وكان المالكي لا يُصلي خلف الشافعي والعكس، فهذه الظاهرة بالإضافة لمخالفتها للشرع قد أضرت بالأمة وشتت شملها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم من خالف الكتاب المستبين والسُنَّة المستفيضة خلافًا لا يعذر فيه، فهذا يُعامل بما يُعامل به أهل البدع. وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتناظران في المسألة لا يقصدان إلا الخير.

وإذا اختلف مسلمان في مسألة فتفرقا وتنازعا بسبب ذلك لم تبق أخوة إيمانية، والواجب علينا أن نفرق بين الخلاف السائغ المعتبر الذي لا يفسد للود قضية كخلافنا في قصر الصلاة وبين الخلاف الذي لا ينجبر كخلافنا مع الخوارج في تكفيرهم مرتكب الكبيرة، ومع الصوفية في قولهم بإسقاط التكاليف وصرف العبادة للمقبورين، وكخلافنا مع الشيعة في سبهم الصحابة وقولهم بعصمة الأئمة.

سادسًا: العلماء هم سادة وقادة هذه الأمة الحقيقيين، صانوا العلم فلم يُعرضوا أنفسهم فيه للهلكة، ولذلك رفعهم ربنا مقامًا عليًّا، ودلائل ذلك كثيرة في الكتاب والسُنَّة، وكلها تشير إلى قيمة العلم ومكانة العلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

قد كانت الثورات تندلع من الأزهر كما حدث في ثورة ١٩١٩م، حيث أبرق المندوب السامي البريطاني إلى وزارة الخارجية يقول: إن الثورة تندلع من الأزهر وهذا أمر له خطورته، فما كان منهم إلا أن أشاروا بتحويل الثورة من دينية إلى وطنية، تطالب بتحرير التراب الغالي، ويتزعمها سعد زغلول رافعًا الصليب مع الهلال.

وانتهى الأمر بقول: الإنجليز خصوم شرفاء معقولون، وقال: خسرنا كل شيء وكسبنا صداقة الإنجليز، وتبعه أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد يقول: الإنجليز هم ولاة أمورنا!!

وهذا كله من جراء الوطنيات والقوميات والبُعد عن منهج الله، والذي من شأنه أن يصيب الإنسان بنوع من طمس البصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ويُحكى أن أحد شيوخ الأزهر دخل عليه الخديوي وكان مادًا رجليه فنبهوه لمجيء الخديوي فقال: من يُمد رجله لا يُمد يده.

وما زلنا نرى المواقف الشامخة لشيوخ وعلماء وأساتذة الأزهر، كموقف الشيخ جاد الحق رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة الربا والختان.

ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ولن يخلو الأزهر -بإذن الله- من رجال يصدعون بكلمة الحق، ويؤدون الأمانة ويبلغون الرسالة، لا تثنيهم المناصب ولا تغريهم الأموال، يتشبهون بسلفهم الصالح وخير القرون.

وسواء تمت المشيخة بالانتخاب أو التعيين، فالواجب على كل إنسان أن يبرئ ساحته ويخلص رقبته ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

نعم قد يعطي مَن لا يَملك مَن لا يستحق، والولاية من أعظم صور الأمانة، ومسئولية شيخ الأزهر والمفتي ورئيس الجامعة الأزهرية، مسئولية عظيمة تتطلب مؤهلات خاصة، وقد يضعف الشخص أمام ذهب المُعِزّ وسَيْفِه، ويكون ولاؤه لمن عيّنه.

ويبقى استحضار رهبة الموقف بين يدي الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومعرفة أن النفس إلى موت، والمال إلى فوات.

لقد تربى نبيُ الله يوسف في قصر عزيز مصر، وتربى نبيُ الله موسى في قصر فرعون وعلى سريره، وهذا الأمر لم يمنع الأنبياء من الصدع بكلمة الحق، واحتساب الأجر عند من لا تخفى عليه خافيه.

سابعًا- الحذر المتأكد من تخريب الأزهر تحت عنوان تطويره، فالأمة مستهدفة وبصفة خاصة هذا الصرح الكبير، لا يجوز توهين الصلة بكتاب الله وحفظه بزعم التخفيف على الطلاب.

لابد من دراسة متأنية لأسباب ضعف الثقة في شيوخ الأزهر والأوقاف، وانصراف الناس إلى سماع الدعاة الجدد والشيوخ والعلماء غير الرسميين.

فأكثر هؤلاء لم يحصلوا على شهادات أزهرية، والثقة التي حازوها لم تكن لاقترابهم من الأزهر، ولا يتصور العلاج في مهاجمة هذه الظاهرة أو إطلاق وصف شيوخ الفضائيات، فهذه النعوت لم تصرف الناس عن الدعاة الجدد، ولم تنفر الناس من هؤلاء الشيوخ.

وما زال طوفان التدين يتزايد يومًا بعد آخر، وقد يحتاج الأزهر وشيوخه إلى إعادة صياغة على ضوء ما ذكرناه سابقًا، فإن صبغ الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول، ويصبح العلم والعمل حسبة واحدة.

نتعرف على الواقع ونصيغ دنيا الناس بدين الله، ويصبح همّنا هو مرضاة ربنا حتى وإن سخطت علينا الناس، لا حرج في التعرف على اللغات الأجنبية وتحصل الإجازات العلمية على أيدي الشيوخ الأفاضل.

لا بأس بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، والسعي في إزالة شبهاتهم، فما من نبي إلا وبُعث بلسان قومه ليبين لهم، هذا هو تطوير الخطاب الديني الذي نتقبله، لا التغير ولا التبديل في دين الله ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

لا يجوز لنا أن نرضى الناسَ بسخط الله، ولا أن نُحل الحرام ونحرم الحلال مجاراة لواقع سيء أو محافظة على منصب لا يدوم.

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعه

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقعه

وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

obeikandl.com

(أنت قبل الدين... دين) ضلالٌ مُبين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد فتحت عنوان «أنت قبل الدين... دين» جاء بجريدة المصري اليوم هذا المقال الذي بدأه الكاتب بقوله: «لا أحسب أننا كمصريين كنا أحوج من اليوم لمزيد من الثقة بالنفس والاعتداد بالذات والاستمساك بهويتنا الوطنية المشرفة بدلًا من التمسح في هويات الآخرين التي لم تجلب علينا سوى البؤس والمهانة والنكبات والنكسات نحتاج جميعًا لأن يربت بعضنا على البعض، وأن نتدثر بهذا البلد الجميل بكل قدرتنا على المحبة والإخلاص، وعزمنا على السعي لصنع مستقبل أفضل لأبنائنا وأحفادنا.

وختم مقاله بقوله: ليؤكدوا له أننا كنا هنا قبل الإسلام، وقبل المسيحية، وقبل اليهودية، وحتى قبل آمون ورع فلا تضعوا الأوطان إلا أولًا!!!

هذه صورة ونمط المقالة، وكتابة تمتلئ بها هذه الجريدة في كل عدد من أعدادها، وتتباهى كغيرها برواجها وكثرة قرائها، وهي تستمرئ هذا الخط في نشر الكفر والضلال بزعم حرية الرأي والتعبير والفكر وارتداء ثوب الوطنية، وهذا من أشنع صور الإفساد في الأرض.

ولا أرجم بالغيب إذا قلت: إن مآلهم إلى أفول وانحسار؛ فما يفعلونه هدم لا بناء فيه وتخريب وتدمير للبلاد والعباد يصورونه بهيئة المحبة والحرص على مصلحة الخلق!!

وإن الله لا يُصلح عمل المفسدين، ولا يضيع أجر المحسنين، والعاقبة للمتقين ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

لا يبارك الله في كلمة أو مقالة أو جريدة تحارب دين الله، وتصد عن سبيل الله حتى وإن انتعش أمرها وكثر روادها فلا طاقة لأحد بحرب الله وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع وما ارتفع شيء من الأرض إلا وضعه الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى

نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طٰهٰ: ١٠٥- ١٠٧]، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرَّعْد: ١٧].

ونصيحتنا للجريدة وكتابها أن يقلعوا عن هذه المعتقدات الضالة، ولا يخونوا أمانة الكلمة، ويكفوا عن تلويث عقول وقلوب البشر ويصدروا في توجيههم من هذا المنهج الرباني الإيماني -منهج الكتاب والسُنَّة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣] .

أنا أربأ بهم وأشفق عليهم -وإن لم يشفقوا على أنفسهم- من تكثير الخصوم يوم القيامة ممن أضلوهم بغير علم وعند الله تجتمع الخصوم.

وردنا على المقالة ينحصر في المعاني التالية:

أولاً- دار المقال على هذا العنوان «أنت قبل الدين... دين» والذي وصفتُهُ بالضلال المبين؛ وذلك لأن الكاتب يقدم الوطن على الدين، وذلك بصريح العبارة حيث قال: فلا تضعوا الأوطان إلا أولًا، وذكر أننا كنا هنا قبل الإسلام وقبل المسيحية.

وهذه جهالة فاضحة بالشرع والواقع؛ فالبشرية قد بدأت بنبي الله آدم، ثم تتابع إرسال الرسل، وإنزال الكتب لهداية البشر، وتعبيد الدنيا بدين الله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فَاطِر: ٢٤]، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥].

وما من نبي إلا وقال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٩]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النَّحْل: ٣٦]، فدل -سبحانه- العباد على الغاية من خلقهم ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٨]

وقد أودع -سبحانه- في العباد عقولًا وركَّب فيهم فطرًا، وأنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل؛ ليحيىَّ من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضًا عن بينة.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فلا يستوي المحسن والمسيء، ولا المؤمن والكافر وكل الخلائق ستحشر إلى ربها فريق في الجنة وفريق في السعير قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٤٧]، فربنا -جَلَّ وَعَلَا- لم يخلق الخلق عبثًا، ولن يتركهم سدى.

يتجاهل الكاتب أن الدين عند الله الإسلام وأن الله اصطفى لنا الدين قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣] وقال قبلها: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٢] فالله -تعالى- قد اصطفى البعض من خلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٣].

وأمر باتباع ملة إبراهيم، ونهى عن التهوُّد والتنصر، وأمر بالإيمان الجامع بما أنزل على النبيين وما أوتوه وبالإسلام له -سبحانه- وأن نصبغ بصبغة الله، وأن نكون له عابدين.

ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه وإسرائيل كانوا هودًا أو نصارى قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٣]، وفي الدعاء: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلاَصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى مِلَّةِ أَبَيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» [رواه أحمد والطبراني وقال النووي إسناده صحيح] وقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

فالبداية كانت على الإسلام وتتابع الرسل كلهم يدعو للإسلام -بما فيهم موسى وعيسى عليهما السلام-.

وقد تنوعت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، يُؤمَر بها الحاكم والمحكوم في كل عصر ووقت، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

ويأبى الكاتبُ إلا أن يستعير اسم جريدة «المصري اليوم» ويضع دينًا لكل مصري ويعتبر «المصرية» دينًا قبل الدين!! لا تدري، كيف حدث ذلك؟!!

ولك أن تتخيل الصورة عندما تتعدد وتتنوع المشارب والأهواء والآراء والفلسفات والبيئات، ثم انتقل بالصورة إلى سوريا والعراق واليمن وكلهم يردد تبعًا للكاتب «أنتِ قبل الدين... دين!!!» كيف يلتئم لهؤلاء شمل، وتتوحد لهم كلمة؟ وهل صنع مع الدساتير والمناهج والفلسفات والقوانين التي هي من وضع البشر مثل ما صنع مع دين رب العالمين خالق الخلق ومالك الملك؟

لقد قدَّم الكاتب الأوطان على الدين ولا يجوز لمخلوق أن يقدم ما أخَّره الله ورسوله، ولا أن يؤخِّر ما قدمه الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١]

وساوى الكاتبُ بين المسلم والكافرِ؛ لأن الوطن الواحد يجمعهما والله يقول: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القَلَم: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠]

إن أَصَرَّ الكاتبُ على موقفه وأبت الجريدة إلا تجميع الكُتَّاب الذين ينهجون نفس النهج فلا يسعنا في المقابل إلا أن نقول: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا.

ونذكِّرُهم ونذكِّر مَن كان على شاكلتهم أن الانحراف عن منهج الله دمار وهلاك، وأنكم يا دعاة تقديم الأوطان على الإسلام، بمثابة معول هدم وأداة تخريب للعاجل

والآجل أنتم تُتلِفون أنفسكم وتفسدون الحاضر والمستقبل بضلالكم قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨- ٩] وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

أفراد ودول وجماعات انتقلوا إلى ربهم غير مأسوف عليهم، ولم يكونوا أقل في الوطنية من جريدة المصري اليوم وكُتَّابها قال: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤] إن أهملتم الدين فاقرءوا التاريخ، كيف هلك فرعون؟ الذي قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، وكيف هلك قوم لوط؟ الذين قالوا: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] لماذا هلك قوم نوح وعاد وثمود وقرونٌ بين ذلك كثيرًا؟

هؤلاء لم تنقصهم الوطنية، ولكنهم كفروا بآيات ربهم، وعصوا رسله، واتبعوا أمر كل جبَّار عنيد، فأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود.

قدَّموا الدنيا على الدين، فكان هذا جزاؤهم ومصيرهم، لعلنا نتعظ ونعتبر ونسلم وجوهنا لله من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

ولنعلم دومًا أن الناس قديمًا وحديثًا إن لم يَجْمعهم الحق شَعَّبَهم الباطلُ، وإن لم يستهوهم نعيمُ الآخرة تناطحوا على متاع الدنيا الفانية، وإن لم توحدهم عبادة الله مَزَّقتْهُم عبادة الشيطان إن الحياة بغير الله سراب ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

فيا أيها الكاتب: قف ساعة وتفكر، من أنت؟ وإلى أين ترتحل؟ أراحل أنت أم مقيم؟ وإذا كنت مرتحلًا فإلى أين؟ الحياة أمامنا ممتدة زمانًا ومكانًا، ونحن ننتقل من حياة

دنيوية إلى حياة برزخية إلى حياة أخروية فقدّموا لأنفسكم ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]

ثانيًا- لمزيد من إلقاء الضوء على الوطنية التي يقدمها البعض على الدين، ننقل ما قاله عليّ بن نفيع العلياني في كتابه أهمية الجهاد:

الدعوة إلى الوطنية شقيقة الدعوة إلى القومية، والكفار -قاتلهم الله- لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل إسلامهم، ولم يقتصروا على خطة واحدة، بل كثرت خططهم وشعاراتهم ورياتهم، وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة، فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يخطئها العشرون أو الثلاثون والذي لا تروق له القومية يجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو التعايش السلمي أو الاشتراكية وهكذا دواليك، ولا ينجو منهم إلا من اعتصم بالكتاب والسُنَّة.

والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه، والبُغض لأجله، والقتال من أجله، وإنفاق الأموال من أجله؛ حتى يطغى على الدين؛ وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية.

فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم، وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم إذا لم يكونوا في وطنهم بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار؛ لأن الكفار من أبناء وطنهم!!

وإذا وصل الحال بالإنسان إلى هذه الدرجة فقد عُبد الوطن من دون الله، والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من دعاوى الجاهلية والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الإسلام بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات وما أكثرها!!

فإنه لما قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩م على المستعمر البريطاني واشتد أوارها، وعجزت بريطانيا عن إخمادها غيرت مندوبها في مصر وأرسلت بدلًا منه اللورد للنبي،

ومكث شهرًا يتحرى الأوضاع، ثم أرسل برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول فيها:

١- الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته البالغة.

٢- أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة.

وجاء سعد زغلول وقرت به أعين الإنكليز، فصرف الثورة من ثورة دينية تنبع من الأزهر، وتنادي بجهاد الكفار إلى ثورة وطنية، تنادي بتحرير التراب، يشترك فيها النصارى المصريون مع المسلمين لمحاربة النصارى الإنكليز.

وقال قولته المشهورة: الدين لله والوطن للجميع ومغزى العبارة أننا غير معنيين بالدين وبنشره، فهو لله يتولى نشره والدفاع عنه أما الوطن فهو لنا جميعًا نحن والأقباط فلنبذل جهادنا لأجل ترابنا لاستنقاذه.

يا لك من قولة فاجرة!! التراب أهم على صاحبها من دينه؟!

إن الدين لله والوطن لله، ولا خير في وطن بلا دين، لو كان يعقل الوطنيون.

ثم قال سعد زغلول للمسلمين المصريين: لا تنادوا بشعارات إسلامية؛ لكيلا يغضب إخواننا الأقباط المشاركون لنا في الثورة وقد كان اشتراكهم مقصودًا ليكون لهم في الحكم نصيب ثم ألَّف سعد حزب الوفد ونص في لائحته على تحريم الخوض في أي نقاش ديني، وأخذ القسس النصارى يدخلون الأزهر ويخرجون في المظاهرات.

ومن مصر سرت العدوى للأقطار العربية الأخرى، فصار شعار الوطنية تلوكه الألسنة، وتنشره وسائل الإعلام ومناهج التعليم، ويربى عليه التلاميذ في المدارس، ويقدم على الدين، ويغرس في الجنود حب الفداء له لا للدين.

ولا شك أن الجهاد من أجل الوطن -إذا لم يكن هدف أصحاب الوطن هو نشر الإسلام وتحكيمه في الحياة وإعلاء كلمة الله تعالى- جهاد في سبيل الله لقول الرسول ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» [متفق عليه] -كما تقدم-.

فالمفهوم من هذا الحديث أن من قاتل لكي تكون كلمة الوطن هي العُليا فقتاله في سبيل الشيطان، وميتته ميتة جاهلية.

يقول الأستاذ محمد قطب عن هدف تصدير الكفار لشعار الوطنية إلى الأمة الإسلامية ما يلي: «وقد كانت دعاوى القومية والوطنية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في الغارة على العالم الإسلامي، كما سمى شاتلييه كتابه السالف الذكر.

والهدف من ذلك واضح ولا شك فطالما كان المسلمون مسلمين، فسيصعب على الغزاة ابتلاعهم مهما كانوا عليه من الضعف والتخلف ذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة جهاد، وقد ذاق الفرنسيون في الشمال الإفريقي، وذاق الإنجليز في الهند وغيرها من أقطار إفريقيا وآسيا من عقيدة الجهاد هذه ما لا يزال عالقًا بنفوسهم، برغم كل الضعف والتخلف الذي كان عليه المسلمون.

فاقتلاع هذه العقيدة واستبدال غيرها بها أمر ذو أهمية بالغة سواء من وجهة النظر الصليبية أو من وجهة النظر الاستعمارية البحتة فالمسلمون لا يقبلون الاستعمار ولا يرضخون له طالما كانوا مسلمين فإذا اجتمعت وجهة النظر الصليبية ووجهة النظر الاستعمارية تجاه الإسلام كما هو الأمر الواقع كانت الرغبة في اقتلاع هذه العقيدة آكد والعمل على استبدال غيرها بها أعنف وأشد.

وبالفعل بذرت بذور الوطنية أولًا في العالم الإسلامي، ثم جاء دور القومية بعد ذلك فحققت أكثر من هدف في وقت واحد كان الهدف الأول هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الصليبي إلى حركات وطنية، كما فعل سعد زغلول في مصر وغيره من الزعماء الوطنيين على اتساع العالم الإسلامي.

والحركة الوطنية تفترق عن حركة الجهاد الإسلامي بادئ ذي بدء في أنها لا تنظر إلى العدو على أنه صليبي مستعمر، ولكنه على أنه مستعمر فقط وفرق واضح في درجة

العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظورًا إليه على حقيقته وبين أن يكون مغلفًا برداء الاستعمار فحسب.

والهدف الثاني هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية، عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية فالعدو غير قادر على التفاهم مع الحركات الإسلامية؛ لأنه لا سبيل إلى التفاهم معها في الحقيقة إلا بإخراج ذلك العدو خارج البلاد ومن ثم فلا سبيل إلى استعمال السياسة من جانب العدو.

أما الحركات الوطنية فالتفاهم معها سهل وممكن، وعود من المستعمر بالجلاء!! ويأتي الوقت الموعود فيتذرع المستعمر بشتى المعاذير لتأجيل جلائه، ويعطي وعودًا جديدة يعتذر عنها بدورها إذا جاء دورها.

والساسة والوطنيون يغضبون أو يتظاهرون بالغضب لإرضاء الجماهير والجماهير تثور ثورة صاخبة؛ لكنها فارغة سرعان ما تنطفئ بعد الاستماع إلى خطبة رنانة من الزعيم الوطني، يعد فيها بأنه لن يفرط في شبر من الأرض، ولن يرضى بغير الجلاء التام أو الموت الزؤام.

وبين هذا وذاك تجري مفاوضات بين الساسة والاستعمار تنتهي إلى أشياء تافهة يلعب بها الساسة على عقول الجماهير، فيوهمونهم أنها مكاسب وطنية، وقد تنتهي إلى غير شيء على الإطلاق.

ومع ذلك يقول زعيم يعتبر من كبار الزعماء الوطنيين في العالم الإسلامي في العصر الحديث وهو سعد زغلول «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز»، ويقول: «الإنجليز خصوم شرفاء معقولون».

وهذا شيء ما كان يمكن أن يحدث لو بقيت حركة الجهاد إسلامية كما كانت في مبدئها ولم تتحول إلى حركة وطنية على يد الزعيم الكبير!!

obeikandl.com

والهدف الثالث هو تيسير عملية التغريب من خلال تحويل حركة الجهاد الإسلامي إلى حركة وطنية سياسية، فحين تقوم حركة الجهاد على أساس إسلامي يكون الباب موصدًا تمامًا بين المجاهدين وعدوهم، لا يأخذون شيئًا من فكره ولا اعتقاده ولا عاداته ولا تقاليده ولا أنماط سلوكه.

أما حين يتحول الجهاد إلى حركة وطنية سياسية فالحاجز أرق، يسمح بالأخذ ومعاذير الأخذ كثيرة فقد قال أستاذ الجيل لطفي السيد: إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر وليس السبيل أن نحاربهم بل السبيل أن نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم!!».

وبهذا العرض عن أهداف الدعوة إلى الوطنية يظهر مدى خطورتها على الجهاد وتفريغها لمحتواه الإسلامي.

ثالثًا- الشخصية التي تسعد بها الدنيا هي الشخصية المسلمة، وهي التي لا ينفصل ماضيها عن حاضرها ومستقبلها وهذه الشخصية من جملة خصائصها وسماتها

بعض خصائص وسمات الشخصية المسلمة :

١- الربانية أو الصبغة الإلهية:

فهذه الهداية نحتاجها في كل ناحية من نواحي الحياة، ومع كل نفس من أنفاسنا في العقيدة والشريعة والأخلاق، وهي تؤخذ من الإسلام وحده ولا يصح خلطها بالفلسفة، ولا يمكن الحصول عليها من أديان محرفة أو مبادئ ضالة، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

٢- بصيرة وفرقان نميز بها بين الحق والباطل والإيمان والكفر:

ولابد فيها من علم نافع وعمل صالح ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣- المسلم بشر:

يصيب ويخطئ، ويحب ويبغض، يأكل ويشرب، ويتزوج ويعمر الأرض بطاعة الله، يعمل ويتكسب، ويتطلع إلى السماء، ولا ينسى أنه واقف علي سطح الأرض، فلا يبني قصورا في الرمال ولا يسبح في غير ماء، يأخذ بالأسباب ويفوض أمره لله.

ويعطي كل ذي حق حقه، فلربه حق، ولأهله حق، ولإخوانه حق، ولغير المسلمين حق فهو يعرف لكل ذي حق حقه.

٤- العزة بالإسلام:

والمسلم لا ترهبه صولة الباطل، ولا عنفوان الكفر، يبلغ شريعة الإسلام وعقيدته للعالم كله وهذه العزة مصدرها الإيمان لا الجنس أو اللون أو اللغة أو المال أو النسب ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٥- التمسك بالحق والثبات عليه والمجاهدة في سبيله:

فالمسلم يتخوف علي نفسه من المعصية ويتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ويدعو للخير ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وينصح لله ولا يخاف في الحق لومة لائم ويعلم أن النصر عقبى الصابرين.

٦- الأوبة إلى الله:

فالمسلم شديد الحب لربه قوي التعلق به ويتمنى لقاءه سبحانه في غير ضراء مضره ولا فتنة مضلة ويحدث لكل ذنب توبة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وختامًا:

نقول إذا كانت القوى الكافرة قد تسلمت زمام الأمور في ديار المسلمين فضلًا عن ديار الكفر، فلكي نعيد للإسلام ما كان عليه فلا بد من إعادة الشخصية الإسلامية التي رأيناها في الرعيل الأول، فبمثل هؤلاء الرجال أعلى الله كلمته وأعز دينه وأذل الشرك وأهله والله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

obeikandl.com

عندما ترعى الذئاب الغنم !!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فما خان أمين قط ولكن أؤتمن غير أمين فخان ومن البشاعة بمكان أن تأتي الخيانة ممن تتوسم منه الأمانـة وأن تستشري وتنتشر في المجتمع حتى صارت الخيانة من السماعات اليومية المألوفة.

فالطبيب ينتهك أعراض المريضات في حجرة الكشف ويقوم بتصويرهن ونشر الكليبات الفاضحة وهو الذي يتوهم الناس أنه أقسم بالمحافظة على شرف المهنة.

والمدرس يفعل نفس الفعل مع تلميذات الثانوي في الدرس الخصوصي ولربما هيأ له الأهل الجو المناسب بإغلاق الباب وإحسان الظن.

ويتسلط المدير على الموظفات إغواءًا وإغراءًا وترغيبًا وترهيبًا؛ للوقوع فيما حرم الله تعالى.

ولا تقتصر الخيانة على هذه اللوثة المادية بل تتعداها إلى صور ومظاهر كثيرة كقيادة الحاكم شعبه بالكفر والقهر ونشره للشهوات والشبهات، وخيانة الكلمة عند الصحفيين والأدباء والكتَّاب الذين يكرسون أقلامهم لنشر الاشتراكية تارة، والديمقراطية تارة أخرى، ويروجون لثقافات الانحلال والإلحاد.

ولا يقف الأمر عند حد هؤلاء فالوالد الذي يتصور فيه الرحمة والشفقة قد يفتك بأولاده ويعصف بأخلاقهم ويدمر فطرهم بالأفلام والمخدرات والاختلاط وإهمال تربيتهم على الصلاة والحجاب وتلاوة القرآن.

وإذا كان من خان في القرش استحق وصف الذم، فكيف بمن خان أمانة الحكم والقوامة والعرض؟!

obeikandi.com

فالغدر وإخفاء الشيء والتفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه، وتسارق النظر إلى ما لا يحل، خيانة وهي تتطرق إلى الأمانات والوديعة والعين المرهونة والمستأجرة، فمخالفة الحق بنقض العهد في السر خيانة وتُعد كبيرة من الكبائر وهي قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وفي الحديث: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [رواه البخاري]، وقال النبي ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**» [رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي].

ومن معاني كلمة الخيانة في القرآن الكريم: المعصية، ونقض العهد، وترك الأمانة، والمخالفة في الدين، والزنا وقد كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني] وقال ﷺ: «**حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ فَمَا ظَنُّكُمْ**) [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**» **قال: «وتشيع فيها الفاحشة»** [رواه ابن ماجه وأحمد والحاكم، وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ**» [رواه البخاري ومسلم] وقال عليه الصلاة والسلام: «**لاَ تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلاَ خَائِنَةٍ**» [رواه أحمد وصحح شاكر إسناده] ولما

قيل للنبي ﷺ: «**أَلاَ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ! قَالَ: إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**» [رواه أبو داود وصححه الألباني]، وفي الحديث: «**وَمَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَهُ**» [رواه أحمد وأبو داود وحسّنه الألباني].

وقال -صلوات الله وسلامه عليه-: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[رواه البخاري] وقال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**» [رواه البخاري ومسلم]

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «أدِّ الأمانةَ، والخيانةَ فاجتنبْ واعدلْ ولا تظلمْ يطيبُ المكسبُ»

إن رعاية الغنم تتطلب راع مؤتمن؛ حتى يحافظ عليها ويصونها ولما كانت رعاية الشعوب تشابه رعاية الغنم وجدنا أن ما من نبي إلا ورعى الغنم.

وعندما نرى الذئاب تقوم بالرعاية ويتسلط المدرس على التلميذة، والطبيب على المريضة، والحاكم على شعبه، والصحفي على قرَّائه.

فلابد من عدة وقفات قبل أن يستشري النفاق، ويضمحل المجتمع، وتفتك الذئاب ببقية الغنم.

أولًا- إتيان الصحف والمجلات ووسائل الإعلام بمثل هذه الأخبار التي تزكم الأنوف في صدر صفحاتها وعناوينها مع نشر التصاوير والأسماء وتفاصيل الممارسات، من شأنه أن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويتسبب في زيادة نسب الجرائم لا في تخفيفها أو منعها؛ إذ يوضح سبل ارتكابها لضعاف النفوس، وخصوصًا مع عدم وجود الرادع وقلة التقوى وتيسر مبررات الغواية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

وقد يتحصل الرجل على البراءة وتظل التهمة تلاحقه وتلاحق عياله وأسرته بحيث لا يستطيعون رفع رءوسهم ،ومع ضعف النفس قد لا يُعان على التوبة ،بل ينحرف في المزيد من مواقعة الحرام.

obeikandl.com

ثانيًا- لابد من ضبط مهمة التدريس والطب وغيرها بالضوابط الشرعية، فلا يكفي الاحتجاج بقَسَمِ المِهنة أو بميثاق شرفها، وخصوصًا إذا انطوى على إخلال وتعدٍ وتفريط.

فالبعض قد ينظر للطبيب على أنه ملاك سيصون مرضاه، ويتغاضي عن النصوص الشرعية المانعة من خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وعدم ملامستها إلا لضرورة مقتضية، ووجوب الزي الشرعي، وعدم الخضوع بالقول، وغض البصر إلي غير ذلك من الضوابط الشرعية.

وهذا التغاضي قد يجر إلى أوخم العواقب؛ فمعظم النار من مُسْتَصغر الشرر.

وقد ترسل الأسرة ابنتها إلى المدرس في بيته، أو يقومون بإغلاق الباب تهيئة -بزعمهم- للجو المناسب لتحصيل الدرس؛ مما يؤدي لوقوع الفواحش.

قال الكاساني في بدائع الصنائع: تندب المرأة للكشف على المرأة فإن لم تكن متعلمة قال: تُعلَّم فإن لم تتواجد المتعلمة ولا من تُعلمها يقوم الرجل المؤتمن بالكشف على الموضع المطلوب الكشف عليه مع ستر باقي البدن ولا ينفرد بها في موضع الكشف وهذا كله إذا خيف عليها الهلكة وإذا كان هذا في التطبب فأمر الدروس الخصوصية أوضح.

ثالثًا- قد يتم إغلاق العيادة وإيقاف المدرس عن العمل وقد تثبت الجريمة، ويصل الأمر إلى حبس الطبيب والمدرس وكل ذلك لا يكفي في الردع والزجر فالزاني المحصن «الذي سبق له الزواج» يُرجم أما البكر فجلد مائة وتغريب عام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

لا يصلح السجن بديلًا عما يستوجب إقامة الحد الشرعي وكذلك لا يصلح العوض المادي كبديل عن الجلد أو الرجم لحديث العسيف «الأجير» الذي زنى بامرأة صاحب الأرض، فأفتى البعضُ والده بأن على ابنك مائة شاة ووليدة فلما رُفِعَت الفتوى

لرسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا «امرأة صاحب الأرض» فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**» [متفق عليه]

ثالثًا- من الأخبار الثابتة والاعترافات المؤلمة قول الطبيب أو المدرس أن الزنا تم بالتراضي ولكن التصوير لم يكن بعلم المرأة!!. وهذا من جراء القوانين التي تبيح الزنا بالتراضي ولا ترتب عقوبة إلا في حالات الاستكراه.

وكأن الجناة وبعض دارسي القوانين المقيتة قد وجدوا ضالتهم المنشودة للإفلات بمثل هذا الإقرار، والاعتراف هو سيد الأدلة في شرع الله فما أقيم الحد على ماعز والغامدية إلا بالإقرار.

ولم يثبت إقامة حد الزنا في عصر النبوة والخلفاء الراشدين بشهادة الشهود الأربعة، فالأربعة يطلب منهم الشهادة على فعل الزنا كالرشأ في البئر، والميل في المكحلة لا عن مجرد سماع أو مشاهدة مقدمات، ولو أخبر ثلاثة فيهم أمير المؤمنين لأقيم عليهم حد القذف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤-٥].

ولو وُجد رجل في لحاف امرأة أجنبية، ولم يتواجد الإقرار فإن ذلك يستوجب التعزير فقط لا إقامة حد الزنا ولا تصلح التسجيلات ولا الكليبات لإقامة الحد؛ فلابد من إقرار وشهادة الشهود الأربعة ويكونون من الرجال ليس فيهم امرأة.

رابعًا- لا تعميم قبل حصول الاستقراء ولا يجوز الإشارة بأصابع الاتهام لعموم الأطباء أو المدرسين، أو من تذهب لطبيب وتتعاطى درسًا؛ فهذا قذف واتهام يتطلب بينة أوضح من شمس النهار، ولابد من إحسان الظن وحمل الناس على أحسن محاملهم.

وهذا لا يمنع من النصيحة، والحيطة، والتحفظ، وإغلاق أبواب الشر والفساد ففي بعض الأحوال قد لا ندري من الجاني ومن المجني عليه وقد يساعد انتشار

obeikandl.com

الجهل والتقليد الأعمى، وفساد القوانين، والإعلام المدمر، والبيوت الآيلة للانهيار، والاختلاط والتبرج، والعنوسة، وعدم تطبيق شرع الله. قد يساعد هذا وغيره على ازدياد نسب الفواحش والجرائم.

فلابد من سعي حثيث لمنع الشبهات والمقدمات التي تحول دون إقامة الحدود الشرعية.

ولا يسعنا إلا أن نستبشر الخير مع عودة الأمة لدين ربها، وازدياد الحرص على تعلم العلم النافع ومتابعته بعمل صالح، فها هي الأمة تولد من جديد بعد استفحال معاني الغربة.

خامسًا- كل مقدمة لها نتيجة، وكل عقيدة لها تأثير وتسلط الذئاب على الغنم من مواريث اللوثة المادية والدعوات التحررية الديمقراطية ومن نتاج الدولة المدنية التي لا تعظم لله شرعًا ولا ترعى لله حرمة وتجعل الحابل يختلط بالنابل وتشيع الرذيلة في البلاد والعباد من وراء البعد عن منهج الله إلا الشر والفساد وتسليط الأراذل.

قال أبو داود رضي الله عنه: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة قيل: كيف ذلك؟ قال: إذا ساد القبيلة منافقوها، وعلا فجارُها أبرارَها.

لابد من غرس معاني الإيمان، ومراقبة الله وخشيته -سبحانه- في الطبيب والمدرس والمهندس والحاكم والمحكوم.

لابد من تحكيم لشرع لله في كل ناحية من نواحي الحياة وصبغ الدنيا بدين الله، وإلا فما نشاهده غيضٌ من فيضٍ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وماذا بعد الهدى والنور والضياء إلا التعاسة والشقاء والضياع؟

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ**

رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [رواه البخاري].

عودًا حميدًا لكتاب الله ولسُنة رسول الله ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

سادسًا- قد تثبت التهمة على الرجل ويُقام عليه الحد ولا يعني هذا إقامة الحد على المرأة التي اعترف بالزنا بها فقد تكون مستكرهة، ولا يثبت الحد عليها إلا بإقرارها هي أو بشهادة الشهود الأربعة والاستكراه يلغي الاختيار ولا يصح الإقرار معه.

وفي قصة العسيف قال النبي ﷺ: «**وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**» وهي المرأة التي اعترف الأجير على الزنا بها، والمرأة قد تنكر وبالتالي فلا حد عليها.

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وفي الحديث: «**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**» [متفق عليه]

وهذا الواقع تحت المشيئة هو من لم يتب، وإلا فالتوبة الصادقة النصوح تمحو وتجُبُّ كل ذنب كفرًا كان فما دونه ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

فالسترَ السترَ يا عباد الله!! لا تهتكوا أستار النساء وأعراض الأهالي وكونوا عونًا لهم على طاعة الله لا عونًا للشيطان على نفوسهم.

سابعًا- ذكرت بعض المسائل والأحكام المتعلقة بهذه القضية للاستفادة منها وهي:

ورد في «صحيح البخاري»: «**تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهِرُ فِي الإِسْلاَمِ السُّوءَ**». وفي رواية أخرى: «**كَانَتْ أَعْلَنَتْ فِي الإِسْلاَمِ**».

وفي رواية لابن ماجه» :قد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها»، ولكن لما كانت جريمتها بدون بينة قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبي ﷺ نفسه قال عنها مرة: «**لَوْ كُنْتُ رَاجِمًا أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ لَرَجَمْتُهَا**».

فأعراض الناس يجب أن تُصان والحدود تُدرأ بالشبهات، والإنسان مأخوذ عليه في سمعه وبصره وسائر جوارحه ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

القـــذف:

وقد سمعتم ما قاله رب العزة بشأن قذف المحصنات: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[النور: ٤]، ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾[النور: ١٣]

وكل ذلك صيانة لأعراض الخلق من أن تلوكها الألسنة، فلا يثبت الزنا إلا بأربعة شهود، شهادة يترتب عليها إقامة حد الزنا، وإلا أقيم عليهم هم حد القذف، وهؤلاء الشهود لا يكونون ممن ثبت كذبهم، ولا خائنين، ولا من أقيم عليه الحد من قبل، وليس بينهم وبين المتهم خصومة، متفقين على أنهم رأوا فلانًا يزني بفلانة بمكان كذا وساعة كذا، وأنهم رأوهما يزنيان وفرجه في فرجها كالميل في المكحلة، والرشاء في البئر، وإلا فاختلافهم في أحد هذه الأمور يسقط بشهادتهم.

وقد أقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حد القذف على أبي بكرة وشاهدين معه لما شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا ولم يثبتوه.

أدب رباني:

حريٌ بأن ينقش على القلوب ما ورد في سورة النور، وتعلق بقصة الإفك التي حدثت مع السيدة عائشة رضي الله عنها وكلِّ إفكٍ وتخرُّصٍ باطل سيحدث بعد ذلك.

obeikandl.com

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١١-١٩]

فانظر -رحمك الله- وتدبر قبل أن تسارع باتهام امرأتك أو غيرها لقالة سوء سمعتها من هنا أو من هناك؛ فمن الناس صنف لا هم لهم إلا تلويث سمعة الأبرياء كما قال عثمان رضي الله عنه: «ودت الزانية لو زنت النساء جميعًا».

والمنافقون في كل عصر يحبون أن ينفر الناس من دين الله بالطعن والهمز والغمز واللمز في أخلاق المؤمنين. ونزغاتُ الشياطين لم تنته.

وأول جريمة وقعت على ظهر الأرض كانت بسبب الحسد جعلت الأخ يقتل أخاه، والاستهانة بكلمات التجريح قد تتسبب في مثل ذلك.

والواجب علينا أن نتحقق ونتبين قبل أن ننطق، ولا نتكلم إلا بعلم، وفي الموطن الذي يترتب عليه مصلحة شرعية؛ فقد نقول بأفواهنا ما نحسبه هينًا وهو عند الله عظيم.

واتهام الأبرياء أو الذين لا يتجاهرون بالمعاصي فيه إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا، فإذا سمع الرجل كلمة عن زوجه أو غيرها لا دليل عليها ولا بينة قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وكما نظن الخير بالمؤمنين والمؤمنات فالأصل في الناس البراءة لا الاتهام، وقد أمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سرائرهم لله هو يتولى السرائر ونحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا.

دار حديث بين أبي أيوب الأنصاري وزوجته حول عائشة رضي الله عنها وما أذيع عنها من خبر الإفك قال أبو أيوب الأنصاري لأم أيوب: «ألا ترين ما يقال عن عائشة قالت: لو كنت بدل صفوان كنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءًا؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ فعائشة خير مني وصفوان خير منك».

وقد روي هذا الحديث بين أبي أيوب الأنصاري وزوجه ﵄ بالعكس وفيه أن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب: «يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ﵂؟ قال: نعم وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: ولو كنت مكان صفوان ما كنت أظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءًا، فعائشة خير منك وصفوان خير مني».

سوء العشرة بسبب اختلاف الشبه بين الولد وأبيه:

فالولد تارة ينزع لأبيه في الشبه، وتارة لأمه، وأحيانًا لا له ولا لها، وهذا لا يدل على أن المرأة قد ارتكبت فاحشة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ حُمْرٌ. قَالَ: هل فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ. قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»، فلم يقبل نفيه لولده ولم يحمل قوله على الرمي بالزنا.

وقد ورد التحذير من جحد الوالد لولده ونفي نفسه له دون حق: عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ جَنَّتَهُ وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ**» [رواه أبو داود، قال ابن كثير: إسناده جيد].

هل يصح سؤال المرأة عن ماضيها؟

فالزوج حين يقدم على الزواج يتحري ذات الدين، ومن هي على خلق واستقامة، ويستخير الله ويستشير، ولكن البعض بعد إتمام الزواج يريد أن يتقصى ويفتش سائلًا زوجه أو أهلها عما كانت تفعله قبل التزامها بدين الله ومحاولتها الاستقامة على شرع الله!! وهذه مخالفة للسنن.

ولعل من أصرح وأوضح الردود على هذه المخالفة ما رواه أنس ﷺ قال: «**كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ. قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاَةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله. قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ**» [متفق عليه].

فالشريعة لا تبيح إذا جاء أحد إلى الحاكم أو القاضي معترفًا بذنبه ـ ومن ستره الله لا يليق بنا أن نهتك ستره، وليس لنا أن نستدخل على النفوس الأذى. وكراسي الاعتراف التي ابتدعتها النصارى لا وجود لها عندنا.

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ: لَهُ عُمَرُ لَقَدْ سَتَرَكَ الله لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ وَتَلاَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ (أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ الله هَذَا لَهُ خَاصَّةً قَالَ: بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً**»[رواه مسلم].

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من أتى شيئًا من هذه القاذورات فليتستر بستر الله، فإن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله**» [رواه الحاكم والبيهقي، وصححه الألباني].

وقد رأينا كيف أرجع النبي ﷺ الغامدية مرة بعد أخرى –وقد جاءت تعترف بزناها– حتى تضع وحتى ترضع وتفطم.

وفي رواية لأبي داود أن ماعزًا الأسلمي لما زني بجارية في حيِّه أمره هزال أن يأتي النبي ﷺ فجاء إليه وأقر بذنبه وأقام عليه رسول الله ﷺ الحد، وقال لهَزَّال مع ذلك: «**لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

فالشرع لم يتشوق يومًا لكثرة عدد المحدودين أو المرجومين، ولا يجب على من ارتكب فاحشة أن يذهب للحاكم لإقامة الحد عليه، ويكفي أن يتوب ويكثر من الحسنات الماحية.

نعم الحدود كفارة لأهلها، وكذلك الأمر بالنسبة للتوبة النصوح والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ١٣٥] ، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[الأنفال: ٣٨]

ولا يصح تعيير من اقترف ذنبًا وتاب منه، وهذا كله في حق من ارتكب معصية وتاب منها، فكيف يكون الحال مع من هو مستور الحال؟! كالزوجة التي لم يظهر منها إلا الاستقامة والحرص على الطاعة.

فلا يصح التفتيش والتقصي، وعلينا أن نأخذ العباد بظواهرهم ونكل سرائرهم إلى الله ونحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا.

وقد اتفق العلماء على صحة الصلاة خلف مستور الحال.

أحكام ومسائل تتعلق بالبكارة:

١- البكارة إذا فضت بوثبة أو أصبع فالمرأة لها حكم البكر.

٢- القولُ قولها في ذلك، ولا يصح اتهامها دون إقرار أو شهادة صحيحة بضوابطها الشرعية.

٣- قد يدخل الرجل بزوجه ولا يتهتك الغشاء (البكارة) لصلابته أو لكونه من النوع المطاط، أو لكونها غائرة أو لغير ذلك من الأمور التي يعرفها الأطباء، وبالتالي لا تنزف المرأة حال البناء أو الدخول.

ومن هنا نعلم مدى جناية العرف والجهل ونشر الفضائح دون وجه حق، بل والاتهام الباطل بالزنا وارتكاب الفواحش من الزوج لزوجه يوم البناء، ومسارعة البعض إلى تطليق الأزواج بسبب هذا الأمر.

٤- يحدث فض البكارة في مثل هذه الحالات عند الولادة، وقد يذهب البعض إلى طبيبة لفضها إذا لزم الأمر.

٥- عادات قبيحة ومخالفات للسنن ومضار تحدث بسبب تعجل فض البكارة يوم البناء دون مقدمات ومحاولة البعض فضها بالأصبع، وفي بعض القرى تقوم النساء بذلك على سبيل العادة.

والمرأة لا يحل لها أن تنظر إلى عورة المرأة دون ضرورة أو حاجة مقتضية لذلك، وليس فض البكارة منها كما هي عادات بعض الناس مما يترب عليه أسوأ الأثر.

٦- هذه الجريمة -وعلى هذا النحو- يرتكبها ليحصلوا من وراء هذه العملية على دم البكارة التي لبَّسها عليهم إبليس وأعوانه من شياطين الإنس فيظهرون بهذا الشرف المزعوم أمام الناس، وما درى هؤلاء أنها فضيحة يقدمون عليها.

٧- المكرهة لا يُطلق عليها وصف زانية لقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النور: ٣٣]

ونزلت الآية بشأن إماء عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان يُكره فتياتِه وإماءه على البغاء مع كراهتهن لذلك.

٨- روي ابن أبي حاتم أن رجلًا سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني كنت أُلِمُّ بامرأة آتي منها ما حرم الله عليَّ فرزق الله -عزَّ وجلَّ- من ذلك توبة فأردت أن أتزوجها، فقال أناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فقال ابن عباس: «**ليس هذا في هذا، انكحها فما كان من إثم فعلي**».

٩- وقد مر بنا قول عمر لعمٍّ المرأة التي زنت فتابت حتى كانت من أنسك نسائهم، فخطبت إلى عمها، وكان يكره أن يدلِّسَها، ويكره أن يغش على ابنة أخيه، فما كان من عمر إلا أن قال: لو أفشيت عليها لعقابتك إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه.

وفي رواية قال عمر: «أتخبر بشأنها، تعمد إلى ما ستره الله فتبديه، والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة».

١٠- الكل مأمور بتقوى الله -عزَّ وجلَّ- في السر والعلن، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والمؤمن صادق مصدق، والظلم ظلمات، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وعليك أن تأتي للناس ما تحب أن يعاملوك به.

وليس من المعاشرة بالمعروف هتك الستر أو الطعن في العرض دون بينة أوضح من شمس النهار، وليس منه الاعتراف تحت وطأة التهديد فهذا نوع من الإكراه.

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ**».

١١- من قَبِلَ اللهُ عذره كالمكره فلا يسعك إلا قبول عذره، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

حكم وجود الحمل كدليل على وقوع الزنا:

ذهب جمهور العلماء، خلافًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه والمالكية، إلى أن مجرد الحمل ليس قرينة كافية لإقامة حد الزنا على المرأة التي لا زوج لها معروف؛ وذلك لأنه من الممكن أن يدخل في رحم المرأة جزء من نطفة رجل بغير الجماع فتحمل منه، كما يحدث

أحيانًا إذا ارتدت المرأة ملابس أخيها، وهذا الاحتمال وإن كان ضعيفًا ووجود الحمل بلا زوج يُعَدُّ أساسًا قويًا للشبهة، إلا أنه من المعلوم أن الحدود تدرأ بالشبهات.

لما رواه الترمذي أنه ﷺ قال: «**ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِى الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِى الْعُقُوبَةِ**» [ضعفه الألباني]، ولما رواه ابن ماجه: «**ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعًا**» [ضعفه الألباني].

وعندما نثبت هذا المعنى فليس هذا ترويجاً لفاحشة أو محبة لوقوعها ثم تسويغها بعد ذلك بمثل هذه المسوغات ،ولكنه العدل الذي أمرنا به ،وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وإذا كان الأمر كما ذكرنا، فهل يصح الاتهام بالزنا لعدم جود غشاء البكارة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!!

وقد رأينا كيف كان يذهب من اقترف جرمًا كالزنا لرسول الله ﷺ لإقامة الحد عليه؛ لمعرفتهم أن الحدود كفارة لأهلها؛ ولعلمهم أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة؛ وأن الله مطلع عليهم ورقيب لا تخفى عليه خافية، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ فعاشوا حياة الإيمان واليقين، وألزموا أنفسهم أمر الله وحده.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

obeikandl.com

لا يجوز الإرجاف والتخذيل في موضوع الحج والعمرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد تكلم الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية في موضوع نزول الوباء بأرضه، وذكر حديث النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا**» [متفق عليه].

وتلقف أستاذ بالأزهر في الفقه المقارن كلام مفتي السعودية، وأقره، وأعقبه بقوله: إنه يفتح المجال لمنع الحج والعمرة هذا العام، ولأن السعودية نزل بها وباء أنفلونزا الخنازير.

وهذا الخبر بثته جريدة المصري اليوم - الأربعاء ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ.

وقد كنت علقت بعدة تعليقات، وكتبت عدة مقالات تتعلق بهذا الموضوع، وأرى مع هذا الخبر أن الموضوع ما زال بحاجة لمزيد من التعليق؛ وذلك لخطورة هذه القضية:

أولاً- ذكر الشيخ عبد العزيز آل الشيخ الحديث، ولم يتكلم من قريب أو بعيد على موضوع الحج والعمرة، فما كان من الأستاذ الأزهري إلا أن اجتهد، وطبق الحديث على النحو المذكور، فأخطأ في اجتهاده، وتهور وتسرع في تطبيقه؛ فمسائل كهذه لو عرضت على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر؛ حتى لا يستقل بالنظر ويتحمل الوزر والمنع، حتى وإن كان عمر أهلًا للفُتيا، وجامعًا لأدوات الاجتهاد.

ثانيًا- أمريكا من أكثر البلدان الوبائية، ولم تمنع الناس حتى هذه اللحظة من دخول أمريكا، ولا من الخروج منها.

ورفع منظمة الصحة الأمر إلى الدرجة السادسة هو إجراء وقائي، وحيطة مطلوبة، ولم تطالب المنظمة بدورها بمنع الانتقال من بلد إلى آخر، وكل البلدان تصرح بأنه تحت

السيطرة، وصرحت مصر بأنه تم علاج ثمانية حالات، وتقوم السعودية بعلاج الحالات التي ظهرت فيها، وأهل مكة أدرى بشعابها.

وقد مرت الدنيا من قبل بأمراض وبائية وأنفلونزا السادس وغيرها من الأمراض الفتاكة، ولم نسمع عن منع الحج والعمرة، وخصوصًا مع ازدياد وسائل التحكم والعلاج، والأخذ بأسباب الوقاية.

ولم نسمع في أمريكا ومصر عن غلق النوادي ودور السينما، وحتى الجامعة الأمريكية بمصر والتي ظهر فيها الوباء -أول ما ظهر- فقد تم إغلاقها ليومين ثم سرعان ما أعيد فتحها!!

فكيف وقد بقي على الحج خمسة أشهر أن تطالب من الآن بإيقافه ومنعه؟! وتتبارى وسائل الإعلام كل يوم في نقل هذا الإرجاف وهذا التخذيل!!!

ثالثًا- كمسألة واقعية ينظر إليها بعين الاعتبار، تتعلق بانتشار الوباء هنا وفي أمريكا والسعودية، ويعبر عنها بالوباء العالمي، فلا مانع عند الخلق من انتقال أهل الإسكندرية إلى القاهرة، ولو تركنا جانبًا الحدود المرسومة بين مصر وليبيا نقول: لا حرج أيضًا في انتقال مصر إلى ليبيا والعكس، طالما أن الوباء عالمي -أي هنا وهناك-، وبالتالي فمن الخطأ تطبيق الحديث على مثل هذه الأوضاع؛ فنحن لا ننتقل من مكان موبوء إلى مكان خالٍ من الوباء، أو ننتقل من مكان سليم إلى مكان موبوء...لا، فالواقع الآن -وعلى ضوء الإعلان العالمي الطبي- أننا ننتقل من كان موبوء إلى مكان موبوء مثله، وإن كان هذا لا ينفي الحيطة الطبية، والأخذ بأسباب السلامة والوقاية، والفرار من المجذوم كما نفر من الأسد.

رابعًا- المحافظة على النفس من الضروريات التي دارت حولها نصوص الشريعة، وتقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعلم والدعوة إلى الله.

ونحن نقدر الدوافع الطيبة للمحافظة على الحجاج والمعتمرين والمسلمين، وفي الوقت ذاته نقول: ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه، ولا نقبل بالإرجاف والتخذيل وتطبيق النصوص على غير واقعها المساوي لها.

فالفتوى تقدر زمانًا ومكانًا وشخصًا. وقد يظهر الوباء اليوم وينتهي غدًا، فكيف نصدر حكمًا عامًا بمنع الحج والعمرة، بحيث ينتظم المصري والسعودي؟! ولا تعميم قبل حصول الاستقراء.

وهذا الإرجاف قد يثير الخوف والهلع، ويمنع الناس من استحضار النوايا الطيبة، ومن الدعوات الصالحة التي يرتفع بها البلاء ويتيسر بها الحج.

قد يمتنع الناس من الاستعداد للحج بسبب هذه اللوثة التي يرتفع بها اللوثة المادية التي يلبسها البعض ثوب الشريعة.

وللأسف، فالبعض يفسر الماء بعد العسر بالماء، ويكاد يقنِّط العباد من رحمة الله. ولا تمل الجرائد ووسائل الإعلام من نقل بعض عبارات الإرجاف التي تتعلق بالحج والعمرة بزعم حرية الرأي والتعبير، في الوقت الذي لا يتحدثون فيه عن دور السينما والمباريات، ويستعدون فيه لكأس العالم للشباب.

إن هذا الأمر وغيره لا يقبل التهويل ولا التهوين، والحج على جهة الخصوص فريضة شرعية إسلامية، وفيه معنى الجهاد في سبيل الله، وقد قال الله -تعالى- في شأن الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، فلا يجوز الإحجام في موضع الإقدام، ولا الإقدام في موضع الإحجام.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا

وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[التوبة: ٤٦-٤٧]، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

لقد أرجع النبي ﷺ السبعة عن غزوة تبوك، وقال لهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة: ٩٢]، كانوا معذورين في التخلف، وعلى الرغم من ذلك رجعوا وهم يبكون، فكيف لا نحزن لإرجاف البعض، ومطالبته بمنع الحج لغير سبب موجب لذلك؟!

لقد انبرى النفاق يثبط الهمم عن الجهاد في سبيل الله، فقال ابن سلول: وكأني بأصحاب محمد ﷺ يعودون غدًا مقرنين في الحبال، وأرغى وأزبد، وقال: أنى لهم بقتال بني الأصفر (أي الروم)، وقال: محمد يعدنا ملك كسرى وقيصر، والواحد منا ما يستطيع الخروج إلى متبرزه؟!

وقال البعض (ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي)، فقال سبحانه: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة: ٤٩].

فيا قوم، استعينوا بالله، وتوكلوا عليه -سبحانه وتعالى-. أجمعوا نياتكم، واعقدوا عزمكم، وخذوا بالأسباب، واجتهدوا في الدعاء؛ عساه -سبحانه- ييسر لكم حجًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، وتجارة لن تبور، فإن متم متم على نية طيبة ودعوة صالحة، وقد وقع أجركم على الله؛ فنية المرء قد تكون أبلغ من عمله، ولن يهلك مع الدعاء أحد، والعبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه. وفقكم الله لما يحب ويرضى.

وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

استطلاع لمركز البحوث ٩٠٪
من المصريين لا يشعرون بالأمان

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فقد نقلت جريدة الشروق الأحد ١٤ من جمادي الآخرة ١٤٣٠هـ تحذير الدكتورة.... خبيرة علم النفس بـ«المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» من نتائج عدم إحساس المصريين بالأمان، الذي كشفت عنه في الاستطلاع الذي أجرته على ١٠٠ شخص من مستويات اجتماعية متباينة.

وأوضح الاستطلاع أن ٩٠٪ من المواطنين لديهم إحساس بعدم الأمان بدرجات متفاوتة، فيعاني ٣٠٪ من عينة الدراسة من نقص شديد في درجة الإحساس بالأمان النفسي، كما يعاني ٦٠٪ من نقص في الإحساس بالأمان بدرجة متوسطة، وعلى الجانب الآخر يوجد ١٠٪ من الشعب المصري يشعرون بإحساس مرتفع بالأمن النفسي.

وأكدت الباحثة أن مواطني الأحياء الراقية أكثر إحساسًا بنقص الأمان، وذلك يرجع للفروق الثقافية وإدراكهم للواقع.

وكشفت الدراسة أن انتشار الجريمة يمثل ٩٠٪ من أسباب نقص الإحساس بالأمان النفسي، بالإضافة إلى عدم التواجد الأمني في الشارع المصري، واتساع دائرة الإدمان، وانتشار الفوضى والعنف السياسي، واستغلال النفوذ والبلطجة.

وطالب ٨٨٪ من أفراد العينة بوضع خطة أمنية قوية للشارع المصري والاهتمام بالفقراء وإيجاد حل لمشكلة العشوائيات.

ولنا عدة تعليقات ووقفات مع هذا الاستطلاع:

أولاً- استطلاعات الرأي قد لا تكون صحيحة أو معبرة، وقد يكون فيها من لوثة الواقع، ولا تستطيع تشخيص الداء ولا وصف الدواء، وعلى سبيل المثال لا الحصر،

obeikandl.com

فقد لا تصلح هذه العينة للاستقراء والتعميم هنا وهناك، ولا تعميم قبل حصول الاستقراء.

وقد ذكرت بعض المؤسسات الأمريكية أن نسبة التدين في مصر ١٠٠٪، وهذا خطأ فادح وواضح، يتجافى مع السُنن الشرعية والكونية، فلم تكن نسبة التدين على عهد النبي ﷺ، ولعلهم أدخلوا اليهود والنصارى والشيعة والبهائيين في هذه النسبة، ويتضح من ذلك عدم وجود الضوابط الشرعية المنهجية في العد والإحصاء، واللوثة المادية الهلامية عند الباحثين.

أقول هذا الكلام وأنا أتمنى إسلام البشر جميعًا، وتحقُّق الأمن والخير لهم، وأن تكون الاستطلاعات والإحصاءات متقنة تحقق الاستفادة منها، ولكن للأسف فواقع الأمر هو كما ذكرتُ، فلا داعي للانبهار والمغالاة وترتيب الأحكام على هذه الاستطلاعات، وكما تعلمنا فالتفسير فرع التصحيح، والحكم على شيء فرع عن تصوره.

ثانيًا- غاب مفهوم الأمن الحقيقي عن الباحثة وعن الواقع، واقتصر الاستطلاع على جوانب الأمن، فالمفترض أن ننشد الأمن في العاجل والآجل؛ إذ الحياة ممتدة زمانًا ومكانًا في نظر المؤمن، زمانًا لأبد الآبدين، ومكانًا لجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والإنسان ينتقل من حياة دنيوية إلى حياة برزخية إلى حياة أخروية، وهو يريد أن يأمن على نفسه في كل صورة من صور هذه الحياة، وهذا لا يتحقق إلا بالإيمان، فإذا الإيمان ضاع فلا أمان، وما عند الله من تمكين وأمن وسعة رزق لا تناله إلا بطاعة الله، والاستقامة على شرعه -سبحانه وتعالى-.

ومن أعجب الأشياء ومن مظاهر الغربة أن يُدمر الأمن باسم المحافظة على الأمن، فالأمن لا يتحقق بالشرك والمعاصي والظلم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هُودٌ: ١٠٢]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِذَآ

﴿أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨- ٩] وهل استطاع الأمن القومي مَنْع أنفلونزا الطيور والخنازير، وحوادث القتل المروعة، والاعتداء على الأبرياء والآمنين في العراق وأفغانستان وفلسطين؟

هل يضمن لنا مجلس الأمن تحقيق الأمن والأمان لحظة الموت فما بعده؟

فالإنسان بحاجة لأمن وهو في قبره، يُسأل عن ربه ودينه، وماذا يقول في الرجل الذي بُعث؟، وأن ينجو أثناء المرور على الصراط، وأن يتناول كتابه بيمينه، وأن يُنادى عليه على أبواب الجنة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

من بمقدوره أن يؤمن العبد على مستقبله هذا، وهل شهادات التأمين تقوم مقام هذا المعنى؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣٢]

لقد صار مجلس الأمن مجلسًا لإشاعة الرعب والخوف، ولم يرتق إلى مستوى حلف الفضول، وخصوصًا في تعامله مع قضايا المسلمين.

وماذا يصنع يهود بحواجز أمنية؟ فلن تمنع الحجر والشجر في آخر الزمان من النطق «**يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**» [رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

ثالثًا- الأمن يذكر ضد الخوف، وهو من الكلمات المتداولة على ألسنة المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وكل إناء بما فيه ينضح، لقد أقام الفراعنة المسلات والأهرام وقال فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، فأجراها -سبحانه- من فوق رأسه جزاءً وفاقًا، ومات يوم مات وهو يقول: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ

إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[يُونُسَ : ٩٠]، وقيل له: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾[يُونُسَ : ٩١- ٩٢] .

وأقام قوم نوح وعاد وثمود حضارات، وشيدوا المصانع، وكانوا يتخذوا من الجبال بيوتًا فارهين، فهل تحقق لهم الأمن، قال سبحانه: ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗا وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القَصَصِ : ٥٨]، وقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾[العَنكَبُوتِ : ٤٠].

وتبجح الأمريكان بأنهم القوة العظمى، وامتلكوا وسائل الأمان المادية السببية، فهل استطاعوا دفع إعصار أندرو، أو فيضان المسيسبي؟ أو منعوا حرائق كاليفورنيا؟

وها هي بوادر الأزمة المالية الخانقة تجتاحهم مما دفعهم لترقيع الاقتصاد بـ٨٠٠ مليار دولار، وها هم يعانون من أنفلونزا الخنازير، رغم التطور والتقدم وحرصهم على الأمن والأمان.

لا نتجاوز الحق والحقيقة إذا قلنا: ما نزل بلاء إلا بذنب، وإن الكفر والبغي والظلم والعدوان والزنا والربا والعقوق والقذف من أعظم أسباب ضياع الأمن بمفهومه الواسع والشامل.

إن عدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد. لا مانع من معامل الأمان الزلزالي. واستخدام أجهزة الإنذار المبكر والتكنولوجيا العصرية، ولا حرج في الاهتمام بالأمن الزراعي والصناعي والنفسي، ولا بأس بإقامة المتاريس والحواجز الأمنية وفرق الأمن وعقد الاتفاقيات الأمنية.

وهذا كله لا ينسينا ربنا وخالقنا، ولا يجعلنا نفرط في ديننا طرفة عين؛ فخالق الأسباب قادر على تعطيلها، والأمن من الله، قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[الأَعۡرَافِ : ٩٩]، وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [النحل: ٤٥]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [سورة قريش].

رابعًا- احتياجات الإنسان لا تقتصر على الطعام والشراب والمسكن والملبس، بل تتعدى ذلك إلى أن يأمن في يومه وغده على نفسه وأهله، ولفقدان الأمن والأمان امتلأت المصحات النفسية، والمستشفيات العقلية بالنزلاء، وكثرت نسب الانتحار في أرقى البلدان الأوروبية بالمنظور المادي، كالسويد والنرويج والدنمارك.

ولا نغالي لو قلنا إن المسلم المُعظم لحرمات الله هو من أشد الناس محافظة على الأمن، وجنيًا لثماره الطيبة في العاجل والآجل؛ وذلك لأنه يصدر عن إيمان بالله واليوم الآخر، ولذلك فهو يَحذر الكفريات والشركيات والمعاصي والذنوب التي تدمر الأمن والأمان، ويبتعد عن قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ويحرِّم ما حرَّمه الله ورسوله، كالاغتصاب والزنا والسرقة والسطو.

يعلم المسلم أن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة الدماء، وأنه لا يحل له ترويع المسلم ولو بحديدة. لقد كانت المرأة بالشام تأمن على نفسها بحضرة الصحابة الكرام أكثر من أمنها مع أبيها.

إن إشاعة مفاهيم الإيمان، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترسيخ معنى الأخوة الإيمانية من شأنه أن يحقق الأمن أتم تحقيق. والمتابع للسُنن والسِيَر يعلم كيف كانت المحافظة على حقوق أهل الذمَّة مما دعاهم لإسلام الوجه لله، والدخول في دين الله -جَلَّ وَعَلَا-.

وكان عمر ﷺ يقول: لو عثرت شاة بوادي الفرات لسُئِل عنها عمر: لِمَ لَمْ يمهد لها الطريق يوم القيامة. فإذا كان هذا هو الشأن مع الشاة فكيف يكون الحال مع البشر؟! دخلت المرأة النار في هرة حبستها، ودخلت البغي الجنة في كلب سقته، وفي كل ذي كبد رطبة أجر.

يتحقق الأمن بتطبيق شرع الله، فالخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، كما يتحقق بإقامة الحدود الشرعية. وفي عهد النبوة وعهود الخلفاء الراشدين لم يقم الحد (القتل والزنا) إلا على من يُعد على أصابع اليد الواحدة، واليوم إذا أردنا أن نلاحق فسنلاحق العموم؛ وذلك لكثرة الشر والفساد، وكل ذلك من جراء غياب الشريعة حتى أصبحت كلمات الأمن والرخاء عبارة عن شعارات وهتافات لا واقع لها ولا رصيد، فالعصاة يدمرون أنفسهم والدنيا من حولهم وإن زعموا المحافظة على الأمن.

لا نغالي لو قلنا إن الرقص والغناء والتبرج والعُري والخلاعة وتعاطي المسكرات والمخدرات يدمر الأمن، واسترداده واسترجاعه لا يتم بالشرعية الدولية، ولا بالدولة المدنية، ولا بالقضاء على الإقطاع والرأسمالية، ولا يتحقق بالتأميم وإقامة الجيوش الجبارة، لا يجوز في هذا وغيره أن نكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، وكالعير بالرمضاء يقتله الظمأ والماء فوق ظهوره محمول.

ليس السبيل في إصلاح السياسة والاقتصاد وعلاج الفقر تحقيقًا للأمن والأمان، وإنما السبيل الذي لا سبيل غيره يكمن في عودة الأمة لدين ربها أفرادًا وجماعات، حكامًا ومحكومين؛ فالراعي لَمَّا أصلح ما بينه وبين ربه أصلح له ما بين الذئب وغنمه.

والعلاقة وثيقة والتناسب واضح بين حالة هذه الأمة وحالة الكون من حولها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعْد: ١١]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣] أمة دان لها مُلك كسرى وقيصر لما استقامت على شرع الله، ودَلَّ الأسدُ سفينة مولى رسول الله ﷺ على

الطريق، وكانت الحية تحرس رأس مالك بن دينار وهو نائم «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»، ووقف النبي ﷺ يوم حجة الوداع يقول: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[متفق عليه]

تعلمنا من دين الله أن الكافر -غير المحارب- يرحم بالرحمة العامة، فيُسقى من عطش، ويُطعم من جوع ويُداوى من مرض، وأن الله قد كتب الإحسان على كل شيء، فلا يجوز ترويع الطائر بأخذ فراخه، ولا التحريش بين البهائم، ورأى النبي ﷺ امرأة مقتولة في الغزو فقال: «**مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]

وغير ذلك كثير مما لا تعرفه حضارة القلق الغربية، ولا الأمريكان الذين قتلوا مليون طفل عراقي أثناء الحصار، وما زالوا يقتلون المسلمين هنا وهناك دون وجه حق، ما تحقق الأمن والأمان بشعارات حقوق الإنسان والحيوان والأقليات، ولا يمكن أن يتحقق بمنظمات العدل أو بالحرية الديمقراطية والفلسفات الكفرية.

فهذا الانحلال وهذا الانحراف قد صيَّر الدنيا أشبه بغابة يفترس فيها القوي الضعيف، وأصبح بعض الأفراد والدول والجماعات أشبه بالوحش الكاسر الذي يقطع الطريق ولا يلوي على شيء.

خامسًا- يتحقق الأمن والأمان أتم تحقيق بالعودة لمنهج الأنبياء والمرسلين وإقامة منهج العبودية، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤] وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]، فالرب جل وعلا رحيم بالخلق وهو العليم بما يحقق الأمن للعباد.

لابد من العودة للكتاب والسُنَّة، والتحقق بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام، فلا أمن إلا بإيمان، فالتوحيد والفرائض العينية والكفائية وذكر الله -تعالى- أمن وأمان ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

تعمير الدنيا بدين الله، وإقامة حضارة على منهاج النبوة هو سبيل التطور والتقدم عند المسلمين، فنحن لا نقبل الانزواء في الخرائب، كما لا نقبل الكفر والانحلال بزعم التحضر واللحاق بركاب الغرب.

لا نقبل الابتداع في دين الله، وفي ذات الوقت فالعلوم النافعة كالصناعة والطب والزراعة تؤخذ من كل من أفلح فيها، ولا بأس عندنا بصنع قنبلة نووية إذا كان هذا من شأنه أن يحقق الأمن والأمان ويردع أعداء الإسلام والمسلمين ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠]

لقد سار النبي ﷺ بالرعب مسيرة شهر، وكان لأصحابه الكرام حظهم ونصيبهم من ذلك، وما تواجد صحابي في معركة بعد غزوة أُحد إلا وانتصر المسلمون في المعركة، وكانت أمتنا مرهوبة الجنب يوم استقامت على شرع الله، كان قادة الروم يسمعون بمجيء خالد بن الوليد فيفرون من المعركة.

لا أغالي لو قلت: إن البعد عن منهج النبوة مع ادعاء الحرص على الأمن هو حرص فارغ من المعنى والمضمون، بل هو التدمير للأمن، وإن أحرص الناس على الأمن هم العلماء الربانيون والدعاة الذين يعبّدون الدنيا بدين الله، هم الذين يتبعون منهج السلف الصالح ويتجنبون مسالك العنف والغلو في التكفير.

فالأمن في تمامه ما يتحقق بمجرد الإدعاء، وما يتحقق بصوفية أو شيعية، وما يتحقق بوطنية أو قومية أو باشتراكية أو ديمقراطية بل حرص هؤلاء يحتاج إلى حرص حقيقي وشفقتهم على الأمن تتطلب شفقة. وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف. وما لم يكن يومئذ دينا فليس باليوم دينا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

سادسًا- أنقل لكم كلمة عن الأمن كتبتها منذ عدة سنوات تتميمًا للفائدة.

obeikandl.com

كيف يتحقق الأمن في ظل الطغيان المادي المعاصر؟!!

الأفراد والدول والجماعات -هنا وهناك وفي هذا العصر وكل العصور- ينشدون الأمن والطمأنينة، وأن تكون بلدانهم واحة للأمان، ولم تجد الكثرة من هؤلاء سبيلًا لتحقيق هذا المطلب الغالي إلا عن طريق القوة المادية المتمثلة في جيوش الشرطة والمباحث وسائر الأجهزة، واستخدموا من أجل ذلك النصائح والتحذيرات، والأعمال السرية والعلنية، وأجهزة التصنت والتجسس؛ لطمأنة النفوس وحفظ المجتمع من انتشار الجرائم وتحقيق الأمن الاجتماعي والصناعي، كما انتشرت شركات التأمين التي أسسها اليهود مصاصو دماء الشعوب، وكثرت المصحات النفسية لعلاج أجيال القلق والضياع الفكري.

حضارة القلق:

وقد وجد هؤلاء أن الإنسان المعاصر تائه خائف، ينشد أمنًا لا يجده، فالمناهج الفكرية والفلسفية الموجودة لا تلبي رغبة، ولا تريح نفسًا، ولا تحقق هدفًا، فهي حالة من حالات الخوف على المصير ومن المستقبل، فقد ازدادت نسبة الحوادث والجرائم، بل أصبح الناس يخاف بعضهم بعضًا، ويخافون الكوارث والأمراض والرياح والمطر والأعاصير، يخافون من الإيدز والسرطان، كما يخافون من انتشار أسلحة وعلوم الدمار والتخريب، ولذلك أطلقوا على هذه الحضارة المزعومة اسم حضارة القلق، كيف يطمئن أمثال اللا أدرية؟ ومنهم إيليا أبو ماضي وهو يقول:

جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدَّامي طريقًا فمشيتُ
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبَيْتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لستُ أدري

فهو لا يدري من خالقه؟ ولماذا خلقه؟ وإلى أين المصير؟ ويقول الثاني:

قدر أحمق الخطى سحقت هامتي خطاه

قصور مفهوم الأمن:

ونحن لا نستغرب هذا القلق وهذا الاضطراب، وهذا الخوف الذي يسيطر على الدول والأفراد، بل نرى أن هذه نتيجة حتمية لقصور مفهوم الأمن والبعد عن حياة الإيمان، فليس كل من يتمنى الخير يدركه، ولا تكفي النوايا الطيبة، ولكن لابد من الاستقامة وصحة العمل وأن نأتي البيوت من أبوابها.

الأمن محور الحياة:

إن الأمن الذي تبحث عنه النفوس محوره الإيمان الذي مقره القلب وتستقيم على أساسه الجوارح، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها كالأمن الصحي، والأمن النفسي، والأمن الغذائي، والأمن الاقتصادي، والأمن الأخلاقي، أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه كالأمن في الأوطان، والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات، أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمته بامتثال أمره وطاعة رسوله واتخاذ طريق المتقين مسلكًا واستجلاب رحمة الله، والأمن من عذابه في نار جهنم.

هذه الحاجات وهذه الضرورات قد لا ندركها إلا بفقدان أو نقصان مرتبة من مراتب الأمن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**» [رواه البخاري]، وجاء في الأثر: «**الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان**».

والنفس لا تطمئن إلا إذا آمنت بقَدَر الله، واستسلمت لقضائه -سبحانه- وعلمت أن المرجع والمآب إليه سبحانه، ولا يمكن أن يسعد البشر إلا بإسلام الوجه لله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤]، وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

وعود المحترفين:

فالإسلام إنما هو لمصلحة النفس ولِمَا يُسعدها ويحقق لها الأمن بمفهومه الصحيح، وبعكس الوعود والخيالات في الأنظمة هنا وهناك؛ لعلمهم أن الأمن والأمان من المطالب الملحة للبشر في كل زمان ومكان، ولكنها لا تزيد على كونها شعارات وهتافات وتجارات عند هؤلاء المنحرفين، يتاجرون بها على أدمغة البشر، وإلا ففاقد الشيء لا يعطيه، وهؤلاء لم يمنعوا المعاصي ولا الفجور، ولم يقيموا الدنيا على أساس من دين الله، وصدق من قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يُحْي دينًا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

يقول تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]، ويقول -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

المسلمون لا يشيعون الاضطرابات:

في أمريكا وجدوا مجرمين متأصلين في الإجرام ومن أصحاب السوابق قد أسلموا داخل السجن، فصلحوا ولم يعودوا للسجن بعد ما خرجوا منه، أما من خرج وهو على ديانته السابقة فإنه لا يلبث حتى يعود السجن مرات، ولذلك يوجهون الدعوات للمشرفين والدعاة المسلمين لزيارة وإعطاء المحاضرات.

ويقول بعض المسئولين عن الأمن عندهم: إن الخلاص من الجريمة لا يكون إلا على الإسلام والعمل وفق منهجه، وقد خرجت دراسات الغرب تقول: «إن المسلمين لا يشيعون الاضطرابات المتعددة التي وقع فيها أبناء الغرب».

فالانسجام التام بين السُنن الشرعية والسُنن الكونية، والروح والجسد، وبين الظاهر والباطن، العلم والعمل، والدنيا والآخرة، والأرض والسماء، وبين هذا المخلوق والكون من حوله، كل هذا لا يمكن أن نجده إلا بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيدًا وتطبيقه، فلا تنافر ولا نفور بين الدين والدولة ولا بين الساعات بعضها وبعض.

الإيمان بمثابة راحة للنفس:

والحدود والتشريعات في الإسلام بمثابة راحة للنفس، ولا تكون إلا بالإيمان، وإذا كان رخاء المجتمع لا يكون إلا بالأمان، فالأمان ثمرة من ثمار الإيمان، وقد بُعث النبي ﷺ رحمة للعالمين، ودعوته كانت لتأصيل العقيدة والإيمان في النفوس بما يطمئنها ويريحها.

وفي الشرع ستجد الأصول الستة للإيمان عليها مدار النفس وسعادتها في العاجل والآجل؛ فعقيدة التوحيد والخوف والرجاء كل ذلك من شأنه أن يفترق به المسلم عن الكافر، يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥- ١٥٧]، فالرضا والاطمئنان يسببه الإيمان عند المؤمن، بعكس صبر الكافر فهو بدون احتساب، ويتشابه مع صبر البهائم لما يُحمل عليها من أثقال، ثم الكافر دائم الجزع والتسخط لقضاء الله.

ننشد أمنًا وأمانًا في الدنيا والآخرة:

والإيمان لا يحقق الأمان فقط في الدنيا، وإنما تحقيقه لذلك في الآخرة أتم وأكمل، فالمؤمنون تطمئن قلوبهم يوم الفزع الأكبر، وهو قبل ذلك: إن كان محسنًا قال عجلوني عجلوني، وإن كان مسيئًا يصيح يا ويلتاه أين تذهبون بي فيسمعه كل شيء إلا الثقلين -الإنس والجن- ولو سمعوه لصعقوا، وعندما يوضع في قبره ويرى منزلته تطمئن نفسه كما ورد في حديث البراء بن عازب وغيره.

لقد أراد فرعون أن يطمئن على نفسه عند غرقه فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فقيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، فهو لم يؤمن في الدنيا ولم يغتنم فرصة التوبة حتى يرد على ربه آمنًا، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]، فباب التوبة مفتوح حتى تتردد الروح في الحلقوم وحتى تطلع الشمس من مغربها، وقد فتح -سبحانه- أبواب الرجاء لعباده،فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

أحكام وحدود تشيع الأمن:

والأحكام كثيرة وكلها من شأنها أن تشيع الأمن والأمان في النفس والمجتمع، ومن ذلك تحريم الإسلام للأمور التي تتسبب معها الجريمة كالخمر والزنا والربا والميسر، وقد أعطى كل ذي حق حقه، ومنع التعدي والظلم، وقضى على كل الأمور التي تخل بالأمن، وكانت الحدود فيه بمثابة الروادع والزواجر، والجوابر في نفس الوقت.

والقصاص من أسباب الاطمئنان في المجتمع ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد حرَّم الإسلام أن يورد الإنسان نفسَه موارد الهلكة، أو يحملها فوق طاقتها، ونهاه عن قتل نفسه: «**مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**» [رواه مسلم].

وفيما يتعلق بالمال أمر بالكتابة، والإشهاد والعدالة، وتحديد الأجل، ومراقبة الله، وتأدية الأمانة، فرأس المال جبان ولا يطمئن إلا بالأمان، والقضاء على مثيري القلاقل، ولا أقوى من حكم الله ورسوله.

وتطبيق الشريعة من شأنه أن يخيف من تسوِّلُ له نفسه أن يعمل بمثل عملهم، ومن المعلوم أن النفس لا تنتج عملًا في جو مضطرب، وقد أمر المسلم أن يحصن ماله بالزكاة وليس بدفع أقساط التأمين.

تعدد صور الأمن:

ولو تأملنا الأحكام التفصيلية لعلمنا كيف يتم تأمين النفوس من التأثيرات الخفية كالسحر ووساوس الشياطين بالمعوذتين وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، والرضا والقناعة بما قسم الله.

والأمن الأخلاقي المذكور في أحكام الاستئذان والحجاب، والأمن الصحي المتمثل في زيارة المريض، والرقية، والتداوي بالمباحات، والأمن الزراعي المذكور في سورة يوسف والنحل.

وأمن العقيدة المذكور في مثل قوله -سبحانه-: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْد: ٢٨].

والأمن الأُسَري الذي دلت عليه عشرات الآيات مثل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرْقَان: ٧٤]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الرُّوم: ٢١]، وقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**» [متفق عليه].

مقدمات غائبة، فكيف يتحقق الأمن؟

إن الأمن يحدث بالمشورة، والتوبة، والهجرة، ومجاهدة الكفار، والتوكل على الله، وبالتزام كل أوامره -جل وعلا-، فكل آدابه عالية لأنها مبعث للأمن والراحة، والاطمئنان في الحياة وبعد الممات في طاعة الله، والإعراض عن ذكره -سبحانه- هو مبعث الخوف الحقيقي، والمؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع

obeikandi.com

فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

وأَمْرُ الله -سبحانه- وبأسُه الشديد لا يمنعه أجهزة الإنذار المبكر، ولا الجيوش الجرارة، ولا كل مظاهر الأمن المادي، ونظرة سريعة على ما تُحْدِثه الزلازل والفيضانات كفيضان المسيسبي، والأعاصير كإعصار أندرو في أمريكا، وسائر صور الدمار ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وكما قال -سبحانه-: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، سندرك حتمًا لا محالة أن الإيمان هو سبيل تحقيق الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، للأفراد والدول والجماعات.

فهيا نصبغ أنفسنا بصبغة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ونطرح عن أنفسنا هذا الطغيان المادي الذي علق بقلوبنا وعقولنا.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

obeikandl.com

تحذير البعض من الحج والعمرة
بسبب أنفلونزا الخنازير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فمنذ ظهور وباء أنفلونزا الخنازير، والنصائح لا تنقطع عن الامتناع عن الحج والعمرة؛ طلبًا للسلامة، وحرصًا على مصلحة البلاد والعباد، وآخر ما سمعته من ذلك نداء وإهابة من مفتي الجمهورية الدكتور/ علي جمعة.

وهذا الكلام المنسوب لبعض المفتين والشيوخ والناصحين تتبارى وسائل الإعلام في نشره، وأرى أن هذه النصيحة تحتاج إلى نصيحة، وأن هذا الكلام هو إلى الإرجاف والتخذيل أقرب، هذا الكلام إلى الصد عن سبيل الله والتنفير من طاعة الله أقرب، كلام يجافي الشرع ويصطدم بالواقع والطب.

لا أغالي لو قلت: إن شفقة هؤلاء تحتاج إلى شفقة، وهي بمثابة تحجير للواسع، فأنفلونزا الخنازير لم تنزل بأرضنا، ولم تنزل بالسعودية بعد، بل أمريكا التي نزل بها وباء أنفلونزا الخنازير لم تمنع السفر منها وإليها حتى تاريخ كتابة هذه المقالة ١٠ جمادي الآخرة ١٤٣٠هـ.

فلِمَ هذه الفتاوى والتصريحات التي قد تنطلي على البعض، وتضعف الهمة في بلوغ بيت الله الحرام وتأدية فريضة الحج؟!

وإذا كان من المعلوم أن فتوى المفتي، وحكم الحاكم، وقضاء القاضي لا يجعل الحرام حلالًا ولا الحلال حرامًا، فلا يجوز التهور والتسيُّب والتهاون في أمر يتعلق بفريضة عظيمة كفريضة الحج، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى: ٢١].

نعم وردت النصوص: قال رسول الله ﷺ: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**» [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر]، وقال النبي -ﷺ: «**إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ**» [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر]

وقد امتنع عمر رضي الله عنه من دخول الشام عام الطاعون، ولما اعترضه أبو عبيدة رضي الله عنه وقال: أفرار يا عمر من قدر الله، قال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله.

وهذا مما يُستدل به على الخروج من الواقع السيئ متى وسعك الأمرُ مع طمأنينة النفس ورضا القلب بقضاء الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد.

ونحن بصدد واقع مصري وسعودي لم ينزل به الوباء، وبالتالي يصطلح كل فريق على حقه ويُعَانُ فيه الخلقُ على تأدية الحج والعمرة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، فلابد من تطبيق الحكم على الواقع المساوي له، والفتوى تُقدر زمانًا ومكانًا وشخصًا.

كان يُتصور من الناصحين أن يقولوا للناس: استحضروا نية الحج حتى وإن كنتم فقراء ضعفاء مشاغيل، سبق لكم الحج والعمرة أو لم يسبق؛ فنية المرء أبلغ من عمله، وتجارة النيات من أربح التجارات، ومن سأل اللهَ الشهادة بصدق بلَّغه اللهُ منازل الشهداء، وإن مات على فراشه.

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**»، وفي رواية: «**إِلاَّ**

شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ» [رواه مسلم]، ورواه البخاري عن أنس ﷺ قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

فهؤلاء حبسهم العذر عن الخروج وشاركوهم في الأجر بالنوايا الطيبة، ولماذا نُبخِّل الربَّ الكريم؟ فلربما كانت دعوات صالحة تيسر بها كل عسير، ويرتفع بها كل بلاء، ويصح بها كل سقيم، ويغتني بها كل فقير، ويقوي بها كل ضعيف ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِر: ٦٠]

فأمرنا -سبحانه- بالدعاء ووعدنا الإجابة، وقد تعجل الإجابة وقد تؤجل، وقد يستدفع عنك من الشر والسوء بمثل ذلك، ويكفي أن الدعاء عبادة، وكان عمر ﷺ يقول: «إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء؛ فإن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه».

بقي على الحج خمسة أشهر تقريبًا، وقد نموت الآن، وشتان بين من يموت على نية طيبة ودعوة صالحة، وبين من استسلم لوساوس شياطين الإنس والجن!!

شتان -والفارق كبير- بين من صدق في حرصه على طاعة الله، فأخذ بالأسباب، وتأهب بالزاد والراحلة ثم مُنع، وبين من يُرجف ويخذل ويُضعِّف همّة الخلق، وينطق بلسان حاله ومقاله: «بركة يا جامع»!!

وهل يستوي من يقول: ﴿ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التَّوبَة: ٤٩]، وبين من عناهم الله بقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التَّوبَة: ٩٢]، هذا هو شأن المسلم إذا حيل بينه وبين طاعة ربه يبكي رغم عذره، فما بالكم ببيت الله الحرام الذي لا ينقطع حنين المؤمنين تجاهه، وقد ود المسلم لو سار على رأسه وبذل مهجته بلوغًا لبيت الله الحرام.

obeikandi.com

فتأهبوا يا عباد الله، واستحضروا النية، واجتهدوا في الدعاء، ولا تتوانوا في الأخذ بالأسباب؛ عسى الله أن يجبر كسركم، ويرحم ضعفكم، ويطلع على صدق قلوبكم، فيكتب لكم حجًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، وتجارة لا تبور.

وما منا إلا ورَد ورُدَّ عليه، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

obeikandl.com

زيارة أوباما للقاهرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد .. فقد ظهر أوباما بوجه جديد أثناء الانتخابات الأمريكية وبعد رئاسته لأمريكا، حيث صرح بأن أمريكا ليست في حرب مع العالم الإسلامي، وطالب بإيقاف المستوطنات اليهودية وإقامة دولتين في فلسطين، ووضع جدولًا لانسحاب القوات الأمريكية من العراق على أن تُرسل لأفغانستان!.

وأظهر رغبته لإغلاق معسكر جوانتاناموا وتصفية المعتقلين هناك، ووجه خطابًا للملسمين من تركيا يختلف عن نبرة سلفه الذي أعلنها حربًا صليبية، وشنَّ بالفعل حروبًا على العراق وأفغانستان بزعم مواجهة الإرهاب، وها هو أوباما يأتي للقاهرة لتوجيه خطاب من جامعة القاهرة، وهي زيارة تكثر حولها التعليقات، وقد تتعلق بها آمال، وتتطلع لها الأنظار.

فكثيرٌ هم الحالمون بأن أوباما هو نبي السلام المنتظر، وبعث البعض إليه برسائل لِطَيّ صفحة ١١ سبتمبر، ولإرساء قواعد جديدة؛ لتحسين العلاقات بين أمريكا وشعوب المنطقة، وتقوم على أسس الحوار المتبادل.

وعلَّق البعض على زيارته للسعودية قبل مجيئه للقاهرة لإلقاء خطابه الموجه للعالَمَيْن العربي والإسلامي بأنه إرضاء للرياض، وتعويضها عن اختياره القاهرة لمخاطبة المسلمين. فيما أرجح البعض الآخر اختيار السعودية كمحطة أولى إلى أسباب اقتصادية متعلقة بمصالح واشنطن مع دول الخليج، مشيرًا إلى مطالبة أمريكا لدول الخليج برفع معدلات إنتاج البترول، بالإضافة إلى الاعتماد الأمريكي على الأموال الخليجية للخروج من الأزمة الاقتصادية، ولسماع التصور السعودي لأهميته، وأن هذه الزيارة تُعد بمثابة زيارة لباقي دول الخليج.

وينظر البعض لأوباما على أنه لا يتكلم فقط لكنه رجل أفعال، وأنه جاد في التعبير، وسيلقى ترحيبًا من المصريين فشعبيته أكثر من شعبية سلفه الرئيس بوش، ولربما عقد البعض مقارنة بين الاثنين، فحماقة بوش مفيدة في استثارة الوعي، ويقظة المسلمين بعداوة وخطط الأمريكان والغرب، أما أوباما فهو حية رقطاء ملمسها ناعم تلدغ اللدغة القاتلة فتموت وأنت تبتسم.

ورأى فريق أن حماقة بوش مدمرة، بينما أوباما في حرصه على الظهور بوجه وسياسة جديدة أقل شرًا من بوش مما يؤذن بحالة هدوء وطمأنينة، وبعض الشر أهون من بعض.

يطالب البعض أوباما بعدم التدخل في شئون مصر وبمحاسبة إسرائيل على جرائمها، وبالضغط على ملف حقوق الإنسان والتعامل الجاد ضد امتهان كرامة الأقليات، ووضع حد للتمييز ضد المسلمين، ويطالبه آخرون بالدفاع عن الصحفيين وبالإسراع في حل قضية فلسطين.

وتوقع فريق خيبة أمل بين المسلمين بعد الخطاب وأنه لا داعي للأحلام الوردية.

ومهما يكن من أمر فلنا بدورنا بعض التعليقات التي تتعلق بهذا الموضوع:

أولًا- زيارة أوباما لمسجد السلطان حسن بالقلعة أثناء تواجده بمصر بمثابة رسالة تواصل يبعث بها، لا تخلو من دلالات واضحة تعبر عن احترامه للإسلام ولحضارة المصريين ومكانتهم، وذكر البعض أن الدواعي الأمنية تقتضي إخلاء المساجد المحيطة من المصلين، وأن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر صرح بجواز ذلك.

ولا يخفى أن أوباما قد وُلد لأب مسلم وأم نصرانية وقد تابع أمه على دينها وهذا لا يجوز؛ فالابن يتبع المسلم من والديه، والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وقد سبق أن فَصَّلنا ذلك.

أما مسألة إخلاء المساجد من المصلين فهذا لا يجوز؛ لما فيه من الصد عن سبيل الله، وتعطيل شعائر الله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[النور: ٣٦- ٣٧]، فلا يجوز إخلاء المساجد من المصلين، لا لأجل زيارة حاكم مسلم أو كافر، وهذا لا يتعارض مع إجراءات الحماية للرؤساء والسفراء، فيصطلح كل فريق على حقه، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، وقد ذكرت هذه المسألة في كتاب (تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد)، ونصه:

قتل السفراء والدبلوماسيين:

لا يجوز قتل السفراء ولا أخذ أموالهم إذا دخلوا بأمان، وفي ذلك يقول ابن قدامة في المغني: «وإذا دخل حربي دار الإسلام بأمان، فأوْدَع مالَه مسلمًا أو ذميًا أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب نظرنا فإن دخل تاجرًا أو رسولًا «أي سفيرًا» أو متنزهًا أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانة في نفسه وماله؛ لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة بدار الإسلام فأشبه الذمي إذا دخل لذلك» اهـ.

والسفير أو الرسول مثل المؤمن، سواء أكان يحمل الرسائل، أو يمشي بين الفريقين المتقاتلين بالصلح، أو يحاول وقف القتال لفترة يتيسر فيها نقل الجرحى والقتلى أو غير ذلك من المهمات التي يطلق عليها وصف الدبلوماسية، ومن يقوم بها يأخذ اسم الدبلوماسيين في اصطلاح العصر.

وقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث نعيم بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال لرسولي مسيلمة: «**أَمَا وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنَّ الرُّسُلَ لاَ تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**» [صححه الألباني]،

obeikandi.com

وكان الرسول ﷺ قد قرأ كتاب مسيلمة، وقال لهما: ما تقولان أنتما؟ قال: نقول كما قال: أي أنهما يقولان بنبوة مسيلمة الكذاب.

ولما أوفدت قريش أبا رافع إلى رسول الله ﷺ فوقع الإيمان في قلبه، فقال: يا رسول الله لا أرجع إليهم، وأبقي معكم مسلمًا. فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّى لاَ أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِى نَفْسِكَ الَّذِى فِى نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ**» [أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

وفي كتاب الخراج لأبي يوسف والسير الكبير لمحمد: «أنه إن اشترط للرسول شروط وجب علي المسلمين أن يوفوا بها، ولا يصح لهم أن يغدروا برسل العدو، حتى ولو قتل الكفار رهائن المسلمين عندهم، فلا تقتل رسلهم لقول نبينا ﷺ: «**وفاء بغدر خير من غدر بغدر**».

وقال ابن قدامة (٤٠١/٨): «وإذا سرق المستأمن في دار الإسلام أو قتل أو غصب ثم عاد إلى وطنه في دار الحرب ثم خرج مستأمنًا مرة ثانية استوفي منه ما لزمه في أمانه الأول» أ.هـ

ويجوز دخول الكافر المسجد بإذن المسلم فقد رُبِط ثمامة بن أثال بسارية المسجد، ودخل وفد نجران المسجد وناظرهم النبي ﷺ فيه.

ثانيًا-لو استطعت توجيه رسالة فأربأ بنفسي عن الكلام في الفن أو التواصل الهلامي للشعبين والحضارتين، أو سفه المطالبة بحرية وحقوق الصحفيين، ولكنها رسالة له ولشعبه إقامة الحق في الخلق، وإسلام الوجه لله، وتعبيد الدنيا بدين الله، فهذا هو حق الله على العبيد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يعبدوه -سبحانه- بما شرع وليس بشرع أحد سواه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الحديث الذي رواه مسلم: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» [رواه مسلم]

نحن نحب الخير لأوباما وشعبه محبة حقيقية صادقة لا غش فيها ولا خداع ولا تزييف، ولذلك ندعوه بدعاية الإسلام ونقول له: أسلم تسلم، ولا تخالف مقتضى العقل والفطرة، لا تتنكب صراط الأنبياء والمرسلين؛ فموسى وعيسى ونبينا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- بل وجميع الأنبياء قالوا لقومهم: «**اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**»، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئًا.

وقد ذكر -سبحانه- ما يكون من نبيه عيسى يوم القيامة عندما يقول الله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٦-١١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]

وإذا كان تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله فالتوحيدُ أولًا، والتركيزُ في الرسائل والمطالب على ما ركز عليه الأنبياء والمرسلون أهم وأولى.

ما قيمة أن يكسب الإنسان الدنيا ويخسر الآخرة؟ وما قيمة تحصيل مصلحة متوهمة تأتي على حساب إضاعة العاجل والآجل.

لقد راسل النبي ﷺ القياصرة والأكاسرة، ونحن اليوم بحاجة لاتباعٍ لا ابتداعَ فيه، ننهج منهج النبوة نصل به ما بين الأرض والسماء والدنيا والآخرة، وما بين مصر وأمريكا.

ثالثًا- لا أقل من رد الحقوق لأصحابها، فالظلم والبغي وقتل المسلمين وانتهاك أعراضهم في العراق وأفغانستان وفلسطين لا تسقط هذه الجنايات بتغيير الأدوار بين الرؤساء، ولا بابتسامة رئيس وتقطيب جبين الآخر، ولا أملك أنا أو غيري إسقاط حقوق المظلومين، وهي حقوق لا تسقط بالتقادم، ومن لا يملك لا يصح له أن يعطي من لا يستحق.

قد نفرح بانسحاب القوات الأمريكية من العراق، ولا نرضى أبدًا بإرسال هذه القوات إلى أفغانستان، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم

أبـي الإسـلام لا أبـا لـي سواه إذا افـتـخـروا بقيس أو تميم

لقد استخدم الأمريكان الباكستانيين في تشريد أكثر من ٢مليون مسلم من إقليم سوات، فأين شعارات الحق والعدل؟ وأين وجه السماحة وما يُسمى بالتعايش السلمي والتواصل المزعوم بين الحضارات؟

نحن نرفض الظلم والبغي في العراق كما نرفضه في أفغانستان، ولا نقبل التسلط والهيمنة الأمريكية على المسلمين أو الكيل بمكيالين، فيسمح لليهود بتملُّك الأسلحة النووية، بينما يحظر على المسلمين، أو يشرد المسلمون في إقليم سوات بزعم منعهم من التسلط على السلاح النووي الباكستاني.

إن التدخل في شئون المسلمين على مثل هذا النحو السافر والسافل هو صورة من صور إرهاب الدولة المرفوض، وكذلك الضغط على بعض الأنظمة لتغيير دينها وعقيدتها ومفهوم الولاء والبراء فيها هو إرهاب فكري ومحاربة لدين الله.

obeikandl.com

رابعًا- تعلمنا من دين الله أن الحب لا يكون إلا لله، والبغض لا يكون إلا لله، وأن المرء إذا أحب في الله وأبغض في الله فقد استكمل الإيمان، وأنه لا يجوز تعليق القلوب بغير الله في جلب النفع ودفع الضر، لا يجوز ذلك مع الأنبياء ولا المرسلين ولا عباد الله الصالحين، فكيف يجوز تعليق القلوب بالكافرين؟! قال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[هُودٍ : ١١٣]، وقال تعالى : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المَائِدَة : ٥١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[آلعِمرَان : ١١٨]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [التَّوبَة : ٢٣].

يجب أن يكون الخوف من الله لا من أمريكا، ولا يجوز الغلو في الأشخاص ورفعهم إلى مصاف الآلهة، وقد قال الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- وكانت الآيات تتنزل عليه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأَعرَاف : ١٨٨]،وقيل له: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأَنعَام : ١٥]، وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِى عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِى بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «**أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ**»، وخصَّ وعمَ -صلوات الله وسلامه عليه-.

اقرءوا السُنن والسير حتى تحسنوا المسير إلى الله، فمن السفه أن يبيع الإنسان دينه بدنياه، وأشد من ذلك أن يبيع دينه بدنيا غيره.

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ومن فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعه

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

خامسًا- نرفض حل الدولتين؛ فكل أرض علاها حكم الله لابد من استردادها، كما نرفض السلام الذي يقر الغاصب على غصبه.

ومن الخيانة التفريط في القدس وغيرها من أرض المسلمين، وإذا كان الحق لا يُسترد بغير القوة فلا بأس بذلك، ولابد من علو الهمة والارتفاع لمستوى الأمانة التي أمرنا -سبحانه- بحملها. وهذه القوة التي نرهب بها عدو الله وعدونا وترد الحق لنصابه وتمنع الاستجداء لابد من الأخذ بأسبابها، سواء كانت معنوية أو مادية، لابد من تطبيق شرع الله وإحكام مفهوم الولاء والبراء، والاعتزاز بالشعائر والشرائع، وقراءة السُنن والسير قراءة واعية.

وفي هذا الصدد إن لم نتشبه بالنبي ﷺ والصحابة الكرام فلا أقل من التشبه بهارون الرشيد، والمعتصم، وصلاح الدين الأيوبي، وقطز، وبيبرس، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية.

الأسد الجائع لا يترك فريسته لمطالبته الفأر المذكور، لقد انتقل اليهود ومعهم الأمريكان بهذه الأمة من واقع سيء إلى واقع أسوأ؛ ومع التعلق بالأمم المتحدة والشرعية الدولية ودعاوى السلام، كنا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

سادسًا- لابد من التمسك بالكتاب والسُنَّة في هذه المسألة وغيرها، والنصوص تدعونا للاستقامة في العُسر واليسر والمنشط والمكره، في هذا القرن وغيره، ومع الأصدقاء والخصوم، ولا يجوز العمل بدبلوماسية ميكيافلية، أو بعقل معيشي يكفر بالآخرة ويدمر الدنيا.

وقد يرى البعض الواقعية في التكريس للواقع السيئ، ويتهم من أراد الخروج من هذا الواقع المؤلم بالخيالية.

وإجابتنا على هؤلاء المهزومين نفسيًا هي أن الله -تعالى- وعدنا وعدَ الحق بأن المستقبل للإسلام، بغلبته وظهوره على الأديان كلها، وبفتح بيت المقدس، والانتصار على الروم، وبعودة الخلافة على منهاج النبوة، وأنه لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، وبظهور طائفة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

الأيام بيننا، والزمن جزء من العلاج، وكل ما هو آت فهو قريب ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[غَافِر: ٤٤]، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[التَّوبَة: ٣٣]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾[صٓ: ٨٨]

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

وصية أذهلتني !!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد...

فقد ذكرت وسائل الإعلام ما جاء في وصية «سوزان تميم»، وهي الوصية التي كتبتها قبل وفاتها وعثرت عليها الشرطة، قالت «سوزان» في وصيتها: (بسم الله الرحمن الرحيم... إنا لله وإنا إليه راجعون، أوصي بأن تؤول ملكية كل ما أملك من مال أو عقار أو جواهر أو أي شيء، بل كل ما أملكه إلى والدتي وأخي، ولا أحد سواهما، وأوصيكم أن تزكوا وتُحسنوا وتطعموا وتكفلوا الأيتام والمساكين، وتبتغوا صراط الله المستقيم، وتسامحوني إن أسأت إليكم، وتدعوا لي بالرحمة، وأن تعتمروا لي، وتحجوا عنِّي -إذا تيسر لكم-، وأن تكرموني في وفاتي... وأوصيك يا أخي بأمك، وبصلة رحمك، وبالرحمة والعفو عند المقدرة، والسماح والتسامح والبر بوالديك... أحبكم وأدعو لكم بالرحمة، فادعوا لي بها... اتحدوا ولا تفرقوا على بركة الله وسُنَّة رسوله، والسلام عليكم وعلينا وعلى محمد وآله وصحبه... (سوزان عبد الستار تميم).

هذا نص الوصية التي أذهلتني وأنا أطالع الأحداث؛ وذلك لما فيها من دلالات ومسائل هامة:

أولاً- الحالة الإيمانية الواضحة والتي سيطرت على الضحية قبل مصرعها، مما يؤكد حرمة الخوض في الأعراض وإساءات الظنون بالبشر، وتطاول الألسنة دون تثبت، وجنوح البعض إلى التشفي والانتقام دون وجه حق، وإثارة مسائل على شاكلة زواجها من ثلاثة، وأن المتهم بالتحريض على قتلها قد تزوجها زواجًا عُرفيًا، ففي الجملة يسعنا أن نقول أنها كانت تنشد العيش في الحلال، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن يطلب الباطل فأصابه، وكان الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لو احتمل المرءُ الكفرَ من تسعة وتسعين وجهًا واحتمل الإيمان من وجه، لحملته على الإيمان تحسينًا للظن بالمسلم، وقد قال النبي

ﷺ عن ذي الخويصرة الذي قال له: «**يَا رَسُولَ الله، اتَّقِ الله**»، **قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ الله، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لاَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي. فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِى قَلْبِهِ! قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**» [رواه البخاري].

ولما جاءه الرجل الذي كان أكثر ما يُؤتى به وهو مخمور، فقام أحد الصحابة يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ**» [رواه البخاري].

فحمل الناس على أحسن محاملهم، ووضعهم موضع البراءة لا الاتهام هو المطلوب، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسُنَّة، وهذا لا ينافي نصح البشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعرفة أن معظم النار من مستصغر الشرر، وأن تقوى الله فيها السلامة والعافية في العاجل والآجل.

فليكن ضابطنا في القبول والرفض، وفي هذه الحادثة وغيرها: أن الحق مقبول من كل من جاء به، والباطل مردود على صاحبه كائنًا من كان، وأن الحق ما وافق الكتاب والسُنَّة.

قال زيد بن أسلم موصيًا ابنه: «يا بني لا ترى أنك خير من أحد يقول لا إله إلا الله حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه».

وهل يضمن أحد أن يكون خير أعماله خواتيمها وخير أيامه يوم لقاء الله؟

ومن الذي يضمن أن الجولة الأخيرة ستكون له؟ وأن الضربة القاضية ستكون من نصيبه ولن تكون من نصيب إبليس؟ وما أحسن أن تقول حين ترى جاهلًا: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بما يختم لي وبمَ يُختم له، وإن كان كافرًا قلتَ: لا أدري عسى أن يُسلم فيختم له بخير العمل، وأن أكفر فيختم لي بسوء العمل.

واعلم أنه ما دام العبد يظن أن في الناس من هو شر منه فهو متكبر. سُئل ابن السماك عن حقيقة العجب فقال: أن تتطاول على الناس بعملك فتحقر كل من رأيته مقصرًا في العمل. وقال الحسن: كنا نحدث أن من عيَّر أخاه بذنب قد تاب منه ابتلاه الله -عَزَّ وَجَلَّ- به.

ثانيًا- بالإضافة للتمايز الذي تتضح معالمه يومًا بعد آخر، يبرز تيار ثالث بين المعسكرين، مازال يعيش نقرة ونقرة، ساعة وساعة، قد يرقص ويغني ويلهو ويلعب وفي ذات الوقت يصلي ويصوم ويحج ويعتمر.

وهذا الفريق مشهد من مشاهد الغربة، وهو من إفرازات الواقع، وقد تأثر بموجة التدين تأثرًا واضحًا ونحن نرجو له المزيد من الخير، ولابد من بذل المزيد من الجهد في إبلاغ الحق للخلق مع عدم اليأس والقنوط والعمل من باب: ما لا يُدرك كله لا يُترك جله، وأن نستنقذ ما نستطيع استنقاذه، فما لا نستطيع إتمامه ١٠٠٪ لا نتركه صفرًا، وبعض الشر أهون من بعض.

وما ورد في الوصية وحالة صاحبتها يعبر لك عن هذه الصورة، وقد ظهر المتهم الأول وهو يقرأ في المصحف طوال الوقت وامتلأت قاعة المحكمة بالأهالي وغيرهم وكلهم يقرأ في المصحف ويرفع أكف الضراعة لله، وقالت زوجة المتهم الثاني: إنه رجل مؤمن وقوي وسوف يتجاوز هذه المحنة، وأنه بريء من تهمة القتل، ويدرك تمامًا أن ما يتعرض له هو ابتلاء من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأنه أخبرها بأن إيمانه بالله يزداد يومًا بعد يوم كلما ضاقت عليه المحنة، وذكر لها أنه مظلوم، قالت: وأنا أعرف ذلك وكلانا لن ييأس من رحمة الله، وإن كل أفراد العائلة واثقون في براءته ولديهم أمل كبير في ربنا.

ثالثًا- الوصية اشتملت على معاني طيبة مثل التسمية، والاسترجاع، والحث على الزكاة، وكفالة الأيتام، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والعفو عند المقدرة، وطلب الدعاء لها، والحج والعمرة عنها.

والدعاء يصل للميت باتفاق العلماء، وكذلك الصدقة، والزكاة واجبة في مال الميت إذا بلغ النِّصاب ومرت عليه سنة قمرية، ويصح الحج عن الميت لمن حج عن نفسه لحديث ابن عباس: «**أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ. قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةَ؟ قَالَ أَخٌ لِي أَوْ قَرِيبٌ لِي. قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وكثرة من الناس لا تكاد تتنبه للوصية، وإذا أوصوا فوصاياهم لا تزيد عن اللوثة المادية التي كانوا يعيشونها، وأعظم الوصايا وأبركها وأنفعها وصايا الأنبياء والمرسلين، قال -تعالى- عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣].

وفي لحظاته الأخيرة جعل النبي ﷺ يقول: «**الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[رواه أبو داود، وصححه الألباني]، وقال رسول الله ﷺ فِى مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [متفق عليه]، وقال قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ: «**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» [رواه مسلم].

رابعًا- ورد في الحديث قال رسول الله ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ ثَلاَثَ لَيَالٍ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ**» قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: **مَا مَرَّتْ عَلَىَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلاَّ وَعِنْدِى وَصِيَّتِي**»[رواه الشيخان]، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

ويحرم الإضرار في الوصية كأن يوصي بحرمان بعض الورثة من حقهم في الإرث أو يفضل بعضهم على بعض فيه، والوصية الجائرة باطلة مردودة لقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» [رواه الشيخان].

وله أن يوصي بالثلث من ماله ولا يجوز الزيادة عليه، بل الأفضل أن ينقص منه؛ لحديث سعد بن أبي وقاص وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ غَضُّوا مِنَ الثُّلُثِ إِلَى الرُّبُعِ فِي الْوَصِيَّةِ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الثُّلُثُ كَثِيرٌ**» [رواه أحمد والشيخان].

وله أن يوصي لأقربائه الذين لا يرثون منه، ويشهد على ذلك رجلين عدلين مسلمين فإن لم يوجدا فرجلين من غير المسلمين على أن يستوثق منهما عند الشك بشهادتهما.

والواجب أن يوصي المسلم بأن يُجهز ويُدفن على السُنَّة ويحذر من البدع، ويوصي أهله بتقوى الله والحرص على مرضاته -سبحانه-، والآثار في ذلك كثيرة عن السلف.

خامسًا- نحن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، فإذا كان العبد يعمل بطاعة الله ومات على ذلك رجونا أن يكون من أهل الجنة، وإذا كان يعمل بمعصية الله ومات على ذلك خفنا أن يكون من أهل النار، ولا نقطع لأحد بخاتمة إلا إذا قطع الشرع بخاتمته، فمثلًا أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ في الجنة، وفرعون وأبو جهل وأبو لهب في النار؛ لورود النصوص بذلك، أما بقية الخلق ممن لم ترد النصوص بشأنهم فلا سبيل للقطع بخواتيمهم.

فالمسلم قد يرتد على عقبه القهقرى، والكافر قد يُسلم، ولذلك سنظل نتردد بين الرغبة والرهبة، ونقول: المسلم في الجنة والكافر في النار، ولكن الشخص المعين نفوض أمره لله، والغيب لا يعلمه إلا الله، وقد قال -صلوات الله وسلامه عليه-: «**وَمَا أَدْرِي وَاللَّهِ وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي**»، قال ذلك قبل أن ينزل عليه قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]

وما ورد من علامات حُسن الخاتمة فإنما نذكرها على جهة الاستئناس لا القطع والجزم، ومن ذلك:

- نطقه بالشهادة عند الموت «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

- والموت برشح الجبين لحديث «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

- الموت ليلة الجمعة أو نهارها لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**» [رواه الترمذي وأحمد، وحسنه الألباني].

- والاستشهاد في ساحة القتال «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» [رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني]، وورد: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني]، وفي الحديث: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**» [رواه مسلم].

- والموت غازيًا في سبيل الله.

- وكذلك الموت بالطاعون شهادة لهذه الأمة وهي الأمراض الوبائية، «**وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» [رواه مسلم]، وفي الحديث: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» [رواه البخاري ومسلم].

- ويضاف إلى هؤلاء الحريق والمرأة يقتلها ولدها جمعاء (وهي التي تموت في ولادتها أو في نفاسها).

- وكذلك الموت بداء السُّل، ففي الحديث: «**السُّل شهادة**» [رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني].

- والرباط في سبيل الله.

- وكذلك الموت على عمل صالح لقوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فهذه علامات يُستدل بها على حُسن الخاتمة، فأيما عبد مات بإحداها كانت بشارة له ويا لها من بشارة، وشهداء الأمة أصناف ثلاثة: شهيد الدنيا وشهيد الآخرة وشهيد الدنيا

obeikandi.com

والآخرة، فأما الأول فهو من قُتل في ساحة الحرب في قتال الكفار ولم تكن نيته خالصة لوجه الله، كمن قاتل حمية أو رياءً، وشهيد الآخرة كالغريق والحريق والمطعون وهذا له ثواب الشهداء في الآخرة، ولكن يُعامل معاملة الموتى في الدنيا فيغسل ويُكفن ويُصلى عليه، أما شهيد الدنيا والآخرة فهو من قُتل في ساحة الحرب في قتال الكفار وكانت نيته الجهاد في سبيل الله، وهذا نترك تغسيله ويُدرج في ملابسه التي مات فيها، وقد نترك الصلاة عليه.

سادسًا- النفوس مستعدة للخير والشر وقد تواقع أكبر الكبائر كالشرك والزنا والقتل، ثم تنتقل إلى التوحيد وتصير من أهل القرآن والصلاة والصيام، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧- ١٠].

وليس لأحد أن يقطع الرجاء في الله، ولا أن يقطع الطمع في استجابة الخلق ودعوتهم إلى الله من بعد الفسق والفجور، والشواهدُ على ذلك كثيرة، والعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، وبمن يضحك آخرًا لا بمن يضحك أولًا.

ومن لطف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالعبد أن يقدر له ما هو خير له، وإن كرهه العبد وتبرم به ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

والعبد إذا أصيب بمصيبة كان له فيها ثلاث نعم: أنها لم تكن بأكبر مما كانت، وأنها لابد كائنة وقد كانت، وأنها لم تكن كانت في دينه.

سابعًا- لا تجوز الشماتة وخصوصًا من صحفي تارك للصلاة أو كاتب ملحد أو إعلامي زنديق؛ فحال هؤلاء ليس بأفضل من حال القاتل والمقتولة، وكلهم بحاجة لتوبة نصوح.

فمن المطلوب أن يبادر الإنسان بعلاج نفسه، والأخذ بأسباب نجاتها، وينصح نفسه وهو ينصح الآخرين، وقد كانوا ينشدون لنا ونحن صغار نشيد (برز الثعلب يومًا في ثياب الواعظينا).

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شماتة الأعداء، وقال بعض الأعراب وقد ماتت له أباعر كثيرة:

لا والـذي أنـا عبد في عبادتـه ... ومن لولا شماتة أعداء ذوي إحن

ما سرني أن إبلي في مباركها ... وأن شيئًا قضاه الله لم يكـن

إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

obeikandl.com

خواطر حول مقتل فنانة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

أولًا: كثرة القتل علامة من علامات الساعة، والقتل قديم فقد قتل الأخ أخاه، وما من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْل من دمها لأنه أول من سن القَتل.

وقُرب قيام الساعة يكثر القتل -وهو الهرج بلغة الحبشة- حتى لا يدري القاتل فيمَ قتل؟، ولا المقتول فيمَ قُتِل؟ ونحن نترك الواقع يفسر لنا الأمارات والعلامات التي أخبر عنها الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه-، وإليكم ما جاء في كتاب أشراط الساعة ليوسف بن عبد الله الوابل -مما يتعلق بذلك:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ. قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ**» [رواه مسلم]، وفي رواية للبخاري عن عبد الله بن مسعود: «**بين يدي الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل**»، قال أبو موسى: والهرج القتل بلسان الحبشة. [رواه البخاري]

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل، إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفًا، قال: إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذٍ قال: إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنه على شيء وليسوا على شيء**» [رواه أحمد وابن ماجه].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيمَ قُتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار**» [رواه مسلم].

وما أخبر به ﷺ في هذه الأحاديث قد وقع بعض منه فحدث القتال بين المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ثم صارت الحروب تكثر في بعض الأماكن دون بعض، وفي بعض الأزمان دون بعض، ودون أن تعرف أسباب أكثر تلك الحروب.

وإن ما حصل في القرون الأخيرة من الحروب المدمرة بين الأمم والتي ذهب ضحيتها الألوف وانتشرت الفتن بين الناس بسبب ذلك حتى صار الواحد يقتل الآخر ولا يعرف الباعث له على ذلك.

وكذلك فإن انتشار الأسلحة الفتاكة التي تدمر الشعوب والأمم له دور كبير في كثرة القتل، حتى صار الإنسان لا قيمة له يذبح كما تذبح الشاة، وذلك بسبب الانحلال وطيش العقول، فعند وقوع الفتن يقتل القاتل ولا يدري لماذا قتل؟ وفيمَ قتل؟ بل إننا نرى بعض الناس يقتل غيره لأسباب تافهة وذلك عند اضطراب الناس، ويصدق على ذلك قوله ﷺ: «**إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان**»، نسأل الله العافية ونعوذ به من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وقد جاء أن هذه الأمة أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، وأن الله -تعالى- جعل عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل، ففي الحديث عن صدقة بن المثنى حدثنا رياح بن الحارث عن أبي بردة قال: بينما أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبًا، فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ: مما تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد، ونبيهم واحد، ودعوتهم واحدة، وحجهم واحد، وغزوهم واحد، يستحل بعضهم قتل بعض، قال: فلا تعجب، فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن أُمَّتي أُمَّة مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب، إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن**» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

وفي رواية عن أبي موسى: «**إن أُمَّتي أُمَّة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدنيا القتل والبلابل والزلازل**»[رواه أحمد وصححه الألباني].

ثانيًا- رغم ما في القتل من بشاعة وإجرام ويكفي فيه أن يقال إنه إزهاق للنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق -لا نتكلم هنا عن القتل المشروع- إلا أن اللافت للنظر ازدياد جرائم القتل ببشاعة وحدّة وقسوة في الآونة الأخيرة، فلم يعد الجاني يكتفي بإطلاق رصاصة أو تسديد طعنة سكين للضحية، بل لابد من كل مظاهر التشفي والانتقام وإتمام الجرائم بدماء باردة، لابد من تبضيع وتقطيع للضحية، قتل للزوجة والأولاد بالساطور، قتل للأولاد لخلاف مالي، إطلاق ٤٠ رصاصة أو تسديد ٤٠ طعنة للضحية، قتل لكافة الأسرة للخلع الذي تم.

ظاهرة وافدة مستجدة جعلت البعض يقول لي: ألا تلحظ هذا التغير في السلوك الإجرامي للمجتمع، قلت له: ما تحكيه واضح على مستوى الأفراد والدول، فالأمريكان والغرب يقتلون المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين بدماء باردة، ومع رفعهم لشعارات حقوق الإنسان والحريات والديمقراطية، لقد تسببوا في موت مليون طفل أثناء حصار العراق.

ثم كثرة السماعات والمشاهدات لحوادث القتل في وسائل الإعلام وغيرها أورثت البعض الاستهانة تارة، والتلذذ تارة أخرى برؤية الدماء، وبالتالي لا يُستبعد ممارسة الجنس بعد القتل البشع ويظهر البعض بابتسامة عريضة ويده ملوثة بدماء البشر، لقد ترتب على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وعدم وقوع العقاب الرادع، وكون الدنيا أشبه بجهاز صغير تُطالع منه الحوادث والأحداث لحظة بلحظة، مع تدفق موجات الإلحاد والانحلال إلى وصول الأوضاع لحال غير مسبوق صار يستلفت الأنظار ويستثير الانتباه لِكَمْ الجرائم وكيفيتها البشعة.

ثالثًا- لا يقتصر القصاص على الجاني وحده، بل يتعداه لمن ساعده وأعانه وتواطأ معه وحرضه على القتل حتى قال عمر ﷺ عن رجل قُتِلَ: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به».

ولما قتل قدار بن سالف الناقة وكان أشقى القوم قال سبحانه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[الشَّمْس: ١٤- ١٥]، فاستخدمت الآيات وصف الجمع (فَعَقَرُوهَا) رغم أن القاتل رجل واحد، وذلك لأن القتل تم بتحريضهم.

وبالتالي فقد تكون المشاركة بتقديم السكين، والثاني: بتكتيف الضحية، والثالث: بفتح الباب وتهيئة الطريق، والرابع قال: اضربه هنا... والعاشر أجهز على الضحية، وكل هؤلاء شركاء في الإثم والقتل والإجرام والعقوبة أيضًا ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البَقَرَة: ١٧٩].

وصور القتل تختلف، ففيه الخطأ والعمد وشبه العمد، وقد احتاطت الشريعة للأرواح فذكر ابن قدامة في المُغني أنه لو وقع رجل على آخر فقتله فهذا قتل خطأ لا إثم فيه، ولكن فيه الكفَّارة «شهرين متتابعين» وفيه الدية الرجل مائة من الإبل والمرأة على النصف، وتدفع في ثلاث سنوات، وقد يعفو أهل الدم عن الدية أو قد يتنازل أحد الورثة عن حقه فلا بأس، وتبقى حقوق بقية الورثة كما تبقى الكفارة.

وفي شبه العمد تكون الدية مغلظة -مائة من الإبل- في أربعين منها حمل.

أما في العمد ففيه القصاص فيقتل الرجل بقتل المرأة، وقد يعفو أحد أولياء الدم فننتقل إلى الدية، وقد يتم العفو أيضًا عن الدية.

رابعًا-حكم الحاكم، وقضاء القاضي، وفتوى المفتي لا تجعل الحرام حلالًا، ولا الحلال حرامًا.

obeikandi.com

والقاضي يحكم على نحو ما يسمع ويبذل وسعه في أن يتوافق حكمه مع حكم الله، ويستند لشهادة الشهود أو للإقرار والاعتراف، وقد يجد من القرائن ما تطمئن به نفسه لإصدار الحكم والحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر، والبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر.

ولا يجوز الاستكراه في انتزاع الاعتراف، فالاستكراه يلغي الاختيار ويرفع الإثم والذنب، وفي الحديث «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»، والمستكره في واقع الأمر ينفذ إرادة من استكرهه، فلا إرادة ولا اختيار له.

ولا محاباة للجناة حتى ولو كانوا من ذوي السلطان، فقد كان من منطق أهل الجاهلية أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، قال النبي ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» [رواه البخاري ومسلم]

والرأفة بالجناة ليست بأولى من الرأفة بالمجني عليه، وهذا لا يتعارض مع درء الحدود بالشبهات، وأن الخطأ في العفو أهون من الخطأ في القصاص، احذر أن تكون قاضيًا وجلادًا أو متهمًا.

خامسًا-قتل العمد ليس كفر، وباب التوبة مفتوح حتى من قال: (إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَةٍ)، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المَائِدَة: ٧٤]، وقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: قَالَ الله يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منك وَلاَ أُبَالِى يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]، وفي حديث الرجل الذي قتل

تسعة وتسعين نفسًا، وكمَّل المائة بالراهب الذي حجَّر واسعًا كان من تمام توبته أن ينتقل من الأرض التي عصى الله فيها، وقال له: «**انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ**»، ولما جاءه ملك الموت نأى بصدره إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة. [رواه مسلم].

فالتائب من الذنب كم لا ذنب له، والحدود كفَّارة لأهلها، ففي الحديث «**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**» [متفق عليه]، وهذا فيمن لم يتب وإلا فالتوبة النصوح تمحو كل ذنب كفرًا كان فما دونه.

أما قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النِّسَآء: ٩٣] فلا تدل على كفر القاتل العمد، والخلود المذكور في الآية ينصرف إلى استحلال القتل، أو طول المكث، وتغليظ العقوبة.

وقد شاهدنا بعض المحكومين عليهم بالإعدام كيف صاروا يواظبون على الصلاة، ويحفظون القرآن، ويحرصون على السُنن، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا حجر على سعة رحمة الله، ورُب معصية أورثت إنابة وانكسارًا وحرصًا على طاعة الله، ورب طاعة أورثت عزًا واستكبارًا، وإنما الأعمال بالخواتيم، وليس لنا أن نرجم بالغيب.

وعلينا أن نُحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا، ونحمل الناس على أحسن محاملهم، ونتلمس للناس العذر ما وسعنا الأمر، تذكروا قضية الإفك، فلا داعي للشماتة ولا للتشفي، وأن نأخذ الدرس، فمعظم النار من مستصغر الشرر، وموارية الباب على شيء من الخطأ قد يجر لما لم يكن في الحسبان.

obeikandl.com

وليس للإنسان أن يغتر بصالح عمله فضلًا عن جاهه وسلطانه، وليس لأحد أن يخوض في أعراض الآخرين، فكل ابن آدم خطّاء، وأنت تقول: عصى اللهَ وهو جاهل، وأنا عصيته على علم، ولا أدري بما يُختم له غدًا وبما يختم لي، ولعل عنده من الحسنات والصالحات ما يثقل ميزانه غدًا، وترد على ربك من المفاليس، وفي النهاية فالأمور كلها على ما عند ربك.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

obeikandl.com

متّى المسكين ينتقد الكنيسة المعاصرة
(خطاب يصلح للنصارى لا يصلح للمسلمين)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ..

فقد تركزت الأضواء على الأب متّى المسكين في الوقت الذي نَقَم فيه الرئيس السادات على البابا شنودة وتم عزله في وادي النطرون، والفارق كبير بين متّى المسكين والبابا شنودة رغم أنهما ينتميان للكنيسة الأرثوذكسية، وكثيرًا ما احتدم الخلاف بين الرجلين وطفا على السطح.

فالأول يميل لحياة الرهبنة، ويمكث طيلة وقته في أديرة وادي النطرون، ويلتف حوله كثير من كبار السن من النصارى، ويطبق «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ومن ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر».

أما الثاني فيلتف حوله الشباب بصفة خاصة، ويميل للانخراط في الحياة العامة، ينتقل هنا وهناك ويتحدث في السياسة وغيرها، وينتقد القانون إذا خالف الإنجيل في الزواج أو الطلاق أو غير ذلك من المسائل، مما يثير أحيانًا ردود أفعال متباينة، وفي مقال بجريدة المصري اليوم الأربعاء ٢٠/ ٥، وبعنوان: (تطور الخطاب القبطي من المودة والخلاص إلى الخصومة والصراع)، نقل الكاتب نص حوار الأب متّى المسكين مع مكرم محمد أحمد نشر في١٧/ ٤/ ١٩٨٠م، وعلق عليها الكاتب بقوله: هي آراء لم تجد المناسبة لإعلانها إلا بعد أن دخل الخطاب القبطي النفق المظلم، وإليكم ما نقله عن الأب متّى المسكين:

قال الأب متّى المسكين: إن الكنيسة المسيحية لها مهمة واضحة يجب ألا تتجاوزها أبدًا، وهذه المهمة هي تخليص النفوس بالبشارة المفرحة وكلمات الرب.

obeikandi.com

وهو يرى أن تدخل الكنيسة حتى في الخدمات الاجتماعية يخرجها عن مهمتها، ويوقعها في متاهات ويورطها في مواقف تتعارض مع دورها.

وعندما سأله المحرر: ماذا عن علاقة الكنيسة بالمجتمع؟ قال: إن مهمة الكنيسة ألا تخدم المجتمع، ولكن أن تخدم الإيمان، وأن تخدم المسيح في أشخاص الخطاة والعرايا والأذلاء والمشردين -وكلما خرجت الكنيسة عن اختصاصات مسيحها، وبدأت تنزع إلى السلطان الزمني وتجيش العواطف والمشاعر باسم الصليب، وزاغت وراء أموال الأغنياء، وارتمت في أحضان أصحاب النفوذ، وحاولت الجمع بين السلطان الديني والسلطان الزمني، ودأبت على المطالبة بحقوق طائفية وعنصرية فشلت المسيحية في تأدية رسالتها، ودب فيها الخصام والنزاع والوهن، وأقفل في وجهها ملكوت السماء، وصارت في حاجة إلى من ينتشلها من ورطتها ويردها إلى حدود اختصاصاتها الأولى.

إن (متَّى المسكين) وهو يسعى إلى إنقاذ المسيح في إنقاذ كنيسته صارم في حدوده، إنه يرى حتى في ذلك الدور الذي تؤديه الكنيسة تحت عناوين من الخدمة الاجتماعية وغيرها خروجًا عن دور الكنيسة.

لماذا؟ لأن الخدمة الاجتماعية -هكذا يقول متَّى المسكين- إذ تشمل رعاية الشباب اجتماعيًا وتوجيههم، وتثقيف العمال، وفحص أحوالهم ومطالبهم، والعناية بالطلبة، وإقامة النوادي والمعسكرات، وترتيب المؤتمرات لبحث المشاكل الداخلية والخارجية للشباب، بل وإقامة المستشفيات والملاجئ تدخل في اختصاص نظام الحكم.

فإذا علمنا أن أي نظام للحكم لابد أن يكون له اتجاهه الخاص وخططه في التوجيه والرعاية الاجتماعية لجميع ما عنده من الفئات، فإنه يتحتم في جميع الأحوال أن تكون الكنيسة دارسة لنظام الحكم حتى يكون مخطط الكنيسة الاجتماعي موافقًا ومطابقًا لمخطط الحكومة، وإلا فالصدام بين الكنيسة والدولة أمر لا مفر منه.

أين إذًا تقع الحدود بين سلطان الكنيسة وسلطان الدولة؟ وإن متَّى المسكين يجيبنا في وضوح وصفاء نادرين: لا تماس ولا حدود لأن ملكوت الكنيسة هو ملكوت الرب، وملكوت السلطان هو الدنيوية، هو عالمنا الأرضي، هو حياتنا ونظامنا الاجتماعي، وما لقيصر لقيصر وما لله لله، هذه هي الحدود كما تجلت في قول المسيح:

إن أردنا الاستفاضة يجيبنا متَّى المسكين قائلًا:

إذا عجزت الكنيسة عن أن تضبط الإيمان بالإقناع والمحبة، وهرعت إلى الملوك والرؤساء لتستصدر منشورًا بالإيمان تكون قد أخطأت الطريق، إن الإيمان لا يحميه السيف ولا يحميه القانون، وإنما تحميه البشارة المفرحة وكلمات الرب والإقناع بكلماته.

وعندما احتمت الكنيسة في سيف قسطنطين الملك في القرن الرابع ليتولى حماية الإيمان بالسيف ماذا حدث؟ قاد قسطنطين حربًا صليبية في العالم رافعًا راية الصليب على ساري العداوة جاعلًا شعار الحياة هو نفسه شعار الموت، وربما لم يكن من العار أن يحارب أعداءه ولكن كان العار عليه -كل العار- أن يحارب أعداءه باسم الصليب.

إنه سيان أن تطلب الكنيسة القوة من السلطان الزمني أو تحض على الاستهتار بقوة السلطان الزمني، لأن في الأولى خروجًا على اختصاص الكنيسة، وفي الثانية خروجًا على منطق المسيح ووقوعًا في دينونة الله.

إن الحض على الاستهتار بسلطة الدولة متمثلة في السلطان الزمني، هو تشجيع للشر، لأن الكنيسة لا ينبغي أبدًا أن تأخذ موقف العداء من الدولة والوطنية، ومصدر الخطر أن الذين يلقنون الدين للجميع يبنون الفرقة والتحيز والانقسام والتكتل.

إن يسوع المسيح يقول: ليس سلطان إلا من الله، كما أنه يقول أعطوا الجميع حقوقهم، الخوف لمن له الخوف، والسلطان لمن له السلطان، والإكرام لمن له الإكرام، وبالتالي فإن تصرفات المواطن المسيحي فيما يختص بأمور السلطان الزمني لا تقع تحت سلطان الكنيسة، فالكنيسة لا تستطيع ولا ينبغي لها أن تستطيع أن تلفت نظر وزير أو

مسئول مسيحي في تصرفاته الحكومية، لأنه ليس تحت سلطانها، الكنيسة فقط تسأل المواطن المسيحي فيما يختص بإيمانه وعقيدته وسلوكه الروحي.

إن ذلك يؤدي إلى أن تكون حرية المواطن المسيحي مكفولة في التصرف وإبداء الرأي والاشتراك في كل ما يخص وطنه في كل الأمور دون أن تكون الكنيسة مسؤولة عن تصرفه، ودون أن تكون الكنيسة مسؤولة عن تقصير أبنائها في أدائهم الواجب الوطني، ودون أن توحي الكنيسة لأبنائها بالتزام خطة معينة بسلوك تصرف معين تجاه الدولة حتى لا تكون الكنيسة مسؤولة أمام السلطان الزمني عن تصرف زمني، لأن مسؤولية الكنيسة فقط أمام المسيح وهي مسؤولة فقط عن تصرفها الروحي.

وباختصار يقول متَّى المسكين: إن وطنية المسيحي وكل ما يتعلق بها من تصرفات خاصة وعامة سواء في الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة إنما تنبع من كيان المواطن لا من كيان الكنيسة، لأن الدولة هي المسؤولة في النهاية عن وطنية المواطن المسيحي لا الكنيسة أو رجال الدين.

إذا لم تكن تلك هي مهمة الكنيسة فما مهمتها على وجه التحديد؟

مرة أخرى يعيد متَّى المسكين على مسامعنا صوت بولس الرسول صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول إن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم: أنا!!!.

إن الأمر في رأيه وفي رأي بولس الرسول بالغ الخطورة، لأن الذين يحاولون أن يخرجوا الكنيسة عن مهمتها إنما يفعلون ذلك لعدم قدرتهم على الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه، لأن الخسارة التي سوف تجنيها الكنيسة من جراء ضم مواضيع جديدة للكرازة سوف تنتهي أخيرًا بانطفاء سراج المناداة بالتوبة لخلاص الخطاة.

إن القائمين على الكرازة فقدوا الطريق الموصل إلى قلب الإنسان، فأخذوا يدورون في متاهات جانبية بعيدة تمامًا عن مهمة الكنيسة، بل لقد ضيع هؤلاء بموقفهم ذلك

coptickandil.com

المفتاح المقدس الذي سلمه الرب يسوع إلى الكنيسة ليدخلوا به إلى قلوب الخطاة، لأن المفتاح الكبير الذي سلمه الرب إلى الكنيسة هو أن تفتح ملكوت السماوات للخطاة، ولكنها ضيعت المفتاح عندما انشغلت بأموال الدنيا وتلاهت عن خلاص الخطاة بمهمة أخرى.

إن هؤلاء ينسون أن المسيح لم يخلط أبدًا بين مملكة الله ومملكة الدهر، لأن محاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكًا على الأرض، كما أن تقوية سلطان الكنيسة بدعوى المطالبة بحقوق الجماعة هو رجعة لإقامة «ملك المسيا» كما يحلم به اليهود.

إنه فيما لو صُفِّي فكر الكنيسة من كل أطماع الدنيا، وفيما لو نفضت عنها كل الحقوق المطلوبة والحقوق المسلوبة، حينئذ ستذكر الكنيسة قول سيدها: «مملكتي ليست من هذا العالم»، ستتذكر أن التوبة ينبغي أن تكون شغل الكنيسة الشاغل لأنها رسالتها، فإذا رفعنا المناداة بالتوبة عن اختصاص الكنيسة لانشغالها بأمور زمنية أخرى لا يبقى للكنيسة من عمل آخر، لأنه ما من عمل يتم في الكنيسة إلا وأساسه في الأصل (تكميل التوبة لضمان الخلاص).

وإليكم بعض التعليقات:

أولًا- قد تقول الكنيسة في رجالها أو يقولون في كنيستهم وتبقى السمات العامة اللافتة للنظر، فأيام الأب متَّى المسكين ومن قبل كان حكم البابا كيرلس للكنيسة حيث لم تحدث مشاكل تذكر مع الدولة، أما الآن فلا يكاد يمر إلا وتسمع عن الاحتقان الطائفي والفتنة الطائفية!!

ورغم المكاسب التي تَحَصَّل عليها النصارى مما لم يحدث مثله في ذي عهد سبق إلا أنهم يطمحون في تحقيق المزيد في تحدٍ واضح للدولة التي يسكنونها، أو حتى تسكن فيهم -كما يعبر البابا شنودة-، وصار البعض يستعدي الأمريكان والغرب على هذا

البلد بزعم حقوق الإنسان، هذه الحقوق التي لا يتحصل المسلمون على شيء منها في العراق وأفغانستان وفلسطين، وهنا وهناك، ونسى هؤلاء أن من يلعب بالنار تحرقه، فلم ينصفهم إلا المسلمون حتى على ظلم بني دينهم وقصة عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر شاهدة على ذلك، والنصارى هم أول من سيضيع حقه وأمنه إذا داهم الأمريكان الديار.

ثانيًا- نرفض ظلم النصارى، ولابد من إنصافهم وإعطائهم كافة الحقوق المشروعة، فالظلم ظلمات والعدل أساس الملك وبه قامت السموات والأرض ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وربنا يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.

وقد تعلمنا من دين الله جواز البيع والشراء مع أهل الكتاب، والتزوج من نسائهم، والأكل من ذبائحهم، وعيادتهم في مرضهم، وهديتهم وضيافتهم، ورحمتهم بالرحمة العامة كإطعامهم من جوع، وسقياهم من عطش، ومداواتهم من مرض، ومجادلتهم بالتي هي أحسن.

هذا العدل وهذا الإنصاف لا يتحقق وفق أهواء وآراء العلمانيين أو الوطنيين أو النصارى، ولكن وفق ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وبتطبيق عقود وعهود الذمة.

فالأمة المسلمة ينبث دستورها من دين ربها لا من أهواء وزبالات أذهان البشر، وإذا تحاكم إلينا النصارى حكمنا فيهم بشرع الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ولسنا بدعًا في ذلك، فالأمريكان الذين يستعدونهم علينا، يتحكمون في رعايا الدولة من المسلمين بدستورهم حتى في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق، ولا يسمحون للمسلمين بالتحاكم بشريعة ربهم في أمريكا، وبعض البلدان الأوروبية

لا تسمح ببناء المساجد ورفع الآذان حتى يومنا هذا كإيطاليا وغيرها، رغم ادعاءات الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

ثالثًا- خطاب الأب متَّى المسكين يصلح -إن صلح- للنصارى، ولا يصلح للمسلمين جملة وتفصيلًا، فالإسلام يعلو ولا يُعلى، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والإسلام دين ودولة، والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به، فليس دينًا كهنوتيًا، ورهبانية هذه الأمة في الجهاد في سبيل الله، وهذا الدين يشمل كل ناحية من نواحي الحياة سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، وسواء تعلقت بالمسجد أو السوق، بالحرب أو بالسلم، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، ودين الإسلام هو الذي رضيه -سبحانه- للعالمين دينًا من لدن آدم حتى قيام الساعة.

وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، وعندما ينزل عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان يحكم بشريعة الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، فهو بذلك حاكم من حكام المسلمين.

وعندما يقف بين يدي ربه -سبحانه وتعالى- يوم القيامة، ويقال له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وتكون إجابته: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

فهو لم يقل لهم أنا الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة، ولكن قال لهم: «اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ» وشأنه في ذلك كشأن جميع الأنبياء والمرسلين.

وخطاب متَّى المسكين ينطبق عليه المثل السائر: «بعض الشر أهون من بعض»، وكنا نتمنى له ولغيره أن يُسلم وجهه لله فالإنجيل الذي بين يديه يأمر بذلك، والمسيح الذي يتابعه يدعوه للإيمان برسول الله ﷺ.

رابعًا- العلمانيون اللادينيون يطيب لهم الاستدلال بحديث متَّى المسكين وما شابهه، لأنه يكرس لدعوتهم المستوردة في فصل الدين عن الدولة، وحتى ينفردوا هم بقيادة البلاد والعباد بالدين الذي ابتدعوه واخترعوه، ونحن بدورنا لا نقبل الاحتجاج علينا إلا بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النِّسَاء: ٦٥]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النِّسَاء: ٥٩]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

وقال النبي ﷺ يوم حجة الوداع: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابَ اللهِ**» [رواه مسلم]، حتى لا نطلق على العلماء وصف رجال الدين ولا نفصل بين رجال الدولة وغيرهم ممن يسمونهم رجال الدين، ولا نساوي الأزهر بالكنيسة، ولا نضع شيخ الإسلام والبابا شنودة في سلة واحدة كما يفعل العلمانيون الذين لا خلاق لهم.

خامسًا: العلمانية والشيوعية والقومية أديان عند أصحابها، ومن عجيب الأمر أن تضيق صدور هؤلاء بشرع الله!! ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا سمعوا من يطالب بتطبيق الشريعة أو يُظهر شعائر إسلامه، ويستخدمون تعبيرات لا يفهمها معظم الناس كالليبرالية والدولة المدنية والثيوقراطية... في الوقت الذي لا يجد فيه العلماني مثلًا غضاضة في أن يحكمه شيوعي أو نصراني، وهذا وذاك صاحب عقيدة وقد يصبغ البلاد والعباد بهذه العقيدة كليًّا أو جزئيًا، والشواهد على ذلك كثيرة، وكل إناءٍ بما فيه ينضح، والسلوك مرآة الفكر.

وأعجب من ذلك رفض النصارى لتطبيق الشريعة ومتابعتهم للعلمانيين وغيرهم، فالنصارى لا يملكون شريعة يطبقونها، ولا يعرفون تفاصيل يحكمونها في سياسة أو اقتصاد أو اجتماع، وهم لا يرفضون الأحكام الوضعية والنظم الشيوعية، فكيف يرفضون شريعة أرحم الراحمين؟!

والعلمانيون في رفضهم لتطبيق الشريعة يتعللون تارة بوجود أقليات غير إسلامية كالنصارى، وتارة أخرى بخطأ وقصور بعض المسلمين في التطبيق، وتارة ثالثة بازدهار حال الغرب وسوء حال المسلمين.

وكلها لا تصلح عذرًا لانصراف الدنيا عن دين ربها؛ فكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ والفارق كبير بين منهج الحق ومناهج الضلال والكفر، وليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه، وما ساء حال المسلمين إلا بسبب البعد عن دين ربهم.

والغرب في تطوره وتقدمه يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[الرُّوم: ٧]، لقد أنشأوا حضارة القلق وها هي أمارات ومقدمات الإفلاس والانهيار تلوح في الأفق، وتفاصيل ذلك تحتاج إلى مقالات مطولة.

سادسًا- أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح هو بولس وأول من ابتدع شارة الصليب هو قسطنطين، ويُقبل من متَّى رفضه للحروب الصليبية، وإن كان بوش والغرب يلوحون بها بين حين وآخر، وقد قام دين النصرانية على الصلب والفداء، وها هم اليهود قد استصدروا وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من دم المسيح، ونحن نعتقد أن المسيح لم يُقتل بل هو في السماء الثانية ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النِّسَاء: ١٥٧ - ١٥٨]، والنصارى من أشد الأمم اختلافًا في معبودهًا ونبيها ودينها:

يقول الإمام ابن القيم: «فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهبًا مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث، وعبادة الصليب، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول، وأنه إله في الحقيقة، وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبيين، وأنه هو الذي أرسل الرسل، وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات، وأن للعالم إلهًا هو أب والد، لم يزل، وأن ابنه نزل من السماء، وتجسم من روح القدس ومن مريم، وصار وهو ابنها الناسوتي إلهًا واحدًا، ومسيحًا واحدًا، وخالقًا واحدًا، ورازقًا واحدًا، وحبلت به مريم وولدته، وأخذ وصلب، وألم ومات، ودفن وقام بعد ثلاثة أيام، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه. قالوا: والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله، وهو كلمة الله، فالقديم الأزلي خالق السموات والأرض هو الذي حبلت به مريم، وأقام هناك تسعة أشهر، وهو الذي ولد ورضع، وفطم، وأكل وشرب، وتغوط، وأخذ، وصلب، وشد بالحبال، وسمرت يداه.

ثم اختلفوا: فقالت (اليعقوبية): إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما: طبيعة الناسوت، والأخرى: طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنسانًا واحدًا، وجوهرًا واحدًا، وشخصًا واحدًا، فهذه الطبيعة الواحدة، والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين، وقالوا: إن مريم ولدت الله، وأن الله -سبحانه- قُبض، وصُلب، وسمر، ومات، ودُفن، ثم عاش بعد ذلك (وهذا مذهب النصارى الأرثوذكس، وهؤلاء عناهم -سبحانه- بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وقالت (الملكية) وهي الروم نسبة إلى دين الملك: إن الابن الأزلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدًا كاملًا كسائر أجساد الناس، وركبت في ذلك الجسد نفسًا كاملة

بالعقل، والمعرفة، والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنسانًا بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس، وإلهًا بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل، وهو إنسان بجوهر الناس مثل إبراهيم وموسى وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت (المسيح)، وهو اسم تجمع اللاهوت والناسوت وقالوا: إن الذي مات هو الذي ولدته مريم، وهو الذي وقع عليه الصلب والتسمير، والصفع والربط بالحبال، واللاهوت لم يمت، ولم يألم، ولم يدفن.

قالوا: وهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله المشيئتان: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت...

فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله، إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت، وإذا تدبرت قولهم (وهذا قول النصارى الكاثوليك) وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه، فاليعقوبية أطرد لكفرهم: لفظًا، ومعنى.

وأما (النسطورية) فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان، لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانًا، ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهًا وإنسانًا، فهو الإله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط.

وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد لله، وهو لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله، وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله، ومحمد

وإبراهيم خيرٌ منه، وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية، فالله رضيه أن يكون له عبدًا، فلم ترض المثلثة بذلك!

وقالت (الآريوسية) منهم وهم أتباع آريوس: إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل، وهو مربوب مخلوق مصنوع. وكان النجاشي على هذا المذهب.

وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب.

سابعًا- بينما يتحقق المسلم بمفهوم الولاء والبراء فكيف الحب عنده في الله والبغض في الله، ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، فتوحيد الله عنده أهم قضية في الوجود، وهذه الدعوة هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين وهي دعوة التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: ٦٧]، وقال -سبحانه- لمن تعجب من ولادة المسيح: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[المائدة: ٦٨]

ومن الأصول الخمسة التي اتفقت عليها الشرائع عدم التقول على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٣]، ولذلك فلسان حال المسلم: «**اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، وإليك حاكمنا**».

وفي المقابل تجد العلماني وكثير من الحزبيين والسياسيين يغضون الطرف عن ذلك كله، فقضية القضايا عنده مثلًا محبة الوطن والاهتمام بالتنمية، حتى وإن كفر الخلق بالله -جَلَّ وَعَلَا-!، فهذا لا يشغله ولا يعنيه ولا يؤرقه، لا بأس عنده أن تكون لواطيًا أو

سحاقيًا أو مخمورًا أو راقصًا، المهم أن تتظاهر مثله بمحبة الوطن، وهذا مثال لا على سبيل الحصر، لتفاهة وسفاهة العلمانية وغيرها من المناهج الأرضية والمنحرفة.

يدمرون أنفسهم ويدمرون البلاد والعباد، ويظنون أنهم يُحسنون صنعًا، فكن من هذه المناهج ومن أهلها على حذر؛ فلدغة العقائد الفاسدة أشد من لدغة الحيات والعقارب؛ لأنها تخرب الحاضر، وتورث نيران الجحيم.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.

وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين

oberkandl.com